الأديان بين يديك

من سلسلة متعة العلم

د. غفار محمد

الإهداء :

إلى كل من يرى في الأديان

اختلافاً جميلاً كألوان الطيف

لنورٍ إلهيٍّ واحدٍ ، لا خلافاً طاحناً

في رحى شيطانٍ حقود..

الأديان بين يديك ...

" الأديان المختلفة طرق متعددة تقود إلى الحقيقة ذاتها ، فلماذا نخاصم بعضنا و نحن نسير نحو الهدف نفسه ؟."

المهاتما غاندي

الأديان بين يديك ...

محتوى الكتاب :

- الدين حاجة الروح قبل فرائض السماء
- الأديان السماوية
- الأديان الأرضية
- الأديان الحديثة العجيبة
- الميثولوجيا
- الصوفية
- العالم الآخر
- الزيتونة شجرة السماء
- **GPS** الحياة

الدين: حاجة الروح قبل فرائض السماء

في عمق النفس البشرية، هناك فراغ لا يملؤه المال ولا الشهرة، ولا الحكمة وحدها. فراغ يشبه صمت الليل حين يسقط على مدينة نائمة، فراغ يسكنه البحث عن معنى، عن تواصل مع ما يتجاوز حدود الذات والمادة. الدين، في جوهره الأوّل، هو صدى هذا الفراغ، هو الحاجة الروحية التي تجبر الإنسان على الالتفات إلى ما هو أبدي، ما هو أعمق من زمنه القصير، وأوسع من محيطه المحدود. قبل أن يكون فُرضاً منزلاً من السماء، كان صرخة الإنسان الداخلية بحثاً عن الراحة في حضن الكون، وسؤالاً متكرراً عن الحق والعدل والجمال الذي لا يزول.

إن الروح البشرية، منذ فجر التاريخ، لم تشبع إلا بما يربطها باللامرئي، بما يعانق السر الخفي للحياة، بما يجعل من الخوف موتاً مهدئاً ومن الفرح نوراً متألقاً. الدين إذن، ليس مجرد طقوس وشرائع، بل هو الحبل السري الذي يربط الإنسان بعالم أوسع، هو اللغة التي يفهم بها قلبه نفسه والآخرين والكون كله. في الصلاة، وفي التأمل، وفي الصمت، وفي سؤال الذات عن الغاية، يولد الإنسان من جديد، يجد نفسه جزءاً من نسيج عظيم، يشعر بأن وجوده له معنى، وأن رحلته ليست عبثية.

حين يُنظر إلى الدين بهذه العين، نرى أنه قبل أن يكون وصايا أو عقائد، هو تجربة وجودية، هو محاولة للاتحاد مع المطلق، للارتقاء بالروح فوق ضجيج الحياة اليومية. وهو، في الوقت ذاته، مرآة تعكس أعمق مخاوفنا وآمالنا وأحلامنا، تحررنا من عبودية الجسد والمادة، وتذكرنا بأن الإنسان، مهما علا شأنه أو صغر، لا يكتمل إلا حين يفتح قلبه على ما هو أسمى من نفسه.

الدين إذن، ليس عبئاً مفروضاً من الأعلى، بل هو دعوة داخلية، هيأها الله في أعماقنا، لتصبح نبراساً يهدينا في ظلمات الحياة، وجسرًا نعبر به إلى الصفاء الداخلي، والطمأنينة الروحية، والإحساس بأننا أكثر من مجرد جسد يعيش بين الولادة والموت، بل كائن يتوق إلى اللقاء بما يتجاوز حدود الزمان والمكان

تاريخ تطور الاديان

منذ أن فتح الإنسان عينيه على عالمٍ غامض لم يعرفه ، شعر

بالدهشة والخوف من الظلام والمطر والرعد ومن حرارة الشمس وبرد الليل ومن أصوات الغابة التي لم يكن يفهمها، كان قلبه يئن بصمت تجاه المجهول وروحه تبحث عن سندٍ غير جسده وغير قبيلته، فبدأ يرسم على جدران الكهوف صور الحيوانات التي يصطادها ويطلب الحماية أو التوفيق من قوى خفية لم يكن يراها ولكنه شعر بها داخله، وكان كل رسم وكل علامة بمثابة حوار مع ما هو أبدي وما هو أكبر من ذاته، وكانت الطقوس الأولى التي يرقصها الإنسان ويؤديها محاولة للاتصال بعالم غير مرئي لتفسير ما يحيط به من قسوة الطبيعة ومن أقدار لا يمكن التحكم فيها، وفي تلك اللحظات الأولى ولد الدين كحاجة روحية داخلية قبل أن يكون قاعدة أو فرض منزّل، فكان الخوف من الموت والجهل بالظواهر الطبيعية محركًا لإبداع الرموز وللبحث عن معنى للحياة، وبدأ الإنسان يسأل عن العدالة وعن الحق وعن سر الوجود وعن سبب الفرح والحزن وعن الطريق إلى الطمأنينة.

ومع مرور الزمن وتطور المجتمعات **في بلاد الرافدين**، بدأ الإنسان ينظر إلى السماء ويقرأ في النجوم ويراقب تقلبات الأنهار

والرياح ويتخيل آلهة تجسد قوى الطبيعة الشمس والقمر والنهر والريح، وكان كل إله يمثل جزءًا من خوفه وأمله ورغبته في السيطرة على مصيره، و**في مصر القديمة** تكثفت هذه الحاجة الروحية في بناء المعابد الضخمة وتقديس الحياة بعد الموت وتطوير عقيدة تجعل الروح خالدة، وكانت الطقوس تعبيرًا عن رغبة الإنسان في أن يتحول وجوده القصير إلى جزء من أبدية الكون وأن يربط بين الأرض والسماء وبين الملموس واللامرئي.

ومع انتشار الفلسفة وتفتح الفكر، بدأت الحضارات الشرقية والغربية تقدم للإنسان مفاهيم جديدة عن العلاقة بين الروح والمطلق، ففي **الهند القديمة** ظهرت الكارما واليوغا والتأمل لتكون وسيلة لفهم أثر الأفعال على النفس ولتحقيق السلام الداخلي، وفي **الصين** كانت الكونفوشيوسية والطاوية تقدم رؤية أخلاقية وروحية توازن بين الفرد والمجتمع وبين الإنسان والطبيعة، وفي **اليونان القديمة** امتزجت الأساطير بالبحث العقلي وبدأ الإنسان يتساءل عن العدالة والخير والشر وعن معنى الحياة وعن مكانه في الكون،

وهكذا أصبح الدين أكثر من مجرد طقوس، وأصبح فلسفة حياة تتجاوب مع الحاجة الروحية العميقة في الإنسان.

ومع ظهور **الديانات التوحيدية الكبرى** في الشرق الأوسط، صار الدين منظومة تنظم الأخلاق والقيم والحياة اليومية، وظهر الإله الواحد العادل الحكيم الذي يستجيب لدعاء عباده لكنه يترك لهم حرية الاختيار في رحلتهم الروحية، وأصبح الدين وسيلة لفهم الذات وللارتقاء بالروح ولتخفيف ثقل الحياة وملء الفراغ الداخلي، وكان كل عبادة وصوم وصلاة محاولة لاحتواء الخوف من الفناء وللارتقاء إلى ما هو أسمى من الجسد وللارتباط بما هو أبدي في الكون، وفي هذا التحول أصبح الدين تجربة روحية شخصية وعامة في الوقت نفسه، تجمع بين الحاجة الداخلية للطمأنينة وبين بناء مجتمع مبني على قيم أخلاقية وروحية.

ومع **العصر الحديث** حيث تتسارع الحياة وتتباعد النفوس عن الطبيعة وتزدحم بالضوضاء والضغوط، يزداد الحنين إلى الدين كملاذ روحي وتجربة تأملية وفلسفية، يجد الإنسان فيها معنى لوجوده ويبحث عن الحقيقة والطمأنينة ويكتشف أن الحاجة إلى الروح تتجاوز الزمن والمكان، وأن البحث عن الله أو المطلق أو الحقيقة ليس مجرد تقليد بل رحلة داخلية للارتقاء بالنفس والروح وتجربة الروح في مواجهة الكون وتجربة الاتصال بما هو أكبر من الذات ..

وهكذا يظل الدين منذ إنسان الكهف وحتى يومنا هذا رحلة متواصلة من **السؤال عن المعنى ومن البحث عن الطمأنينة ومن السعي لفهم الكون وفهم النفس** ومن محاولة جعل الحياة أكثر عمقًا وجمالًا وأكثر انسجامًا مع الروح البشرية التي لا تهدأ ولا تشبع إلا بما هو أبدي وما هو خالد وما يجعل للوجود معنى في قلب الإنسان قبل أن يكون فرضًا منزّلًا من السماء، وبهذا يبقى الدين ليس مجرد شعيرة، بل حاجة جوهرية للروح البشرية، مرآة لأعمق مخاوفها وآمالها، وجسرًا يربط بين الوجود الزائل والخلود، بين الإنسان وما يفوق حدود ذاته، وبين قلبه وما يتوق إلى معرفته وفهمه منذ الأزل وحتى اليوم.

تطور جوهر المعبود

في أعماق النفس البشرية، ومنذ أن بدأ الإنسان يواجه الطبيعة العاتية، كان يبحث عن قوة تتجاوز قدراته وتفسر له ما لا يستطيع فهمه، فكانت أولى الأديان **عبادة الطبيعة** نفسها، عبادة الشمس التي تشرق لتبث الدفء، والرياح التي تهب لتعلن عن تغيّر الأحوال، والأنهار التي تهدر بتيارها وتمنح الحياة، وكانت الجبال والبحار رمزًا لعظمة لا يمكن إدراكها، وهكذا، كان الإنسان يقدس ما يحيط

به، ويتحدث إلى ما يراه من قوى، ويخاف منها ويطمئن إليها في الوقت ذاته، فالدين في هذه المرحلة لم يكن مجرد عقيدة، بل محاولة روحية للاتصال بالعالم الخارجي، وجسرًا من الخوف إلى الفهم ومن العجز إلى الأمان.

ثم جاء عصر **الآلهة المتعددة**، حيث بدأ الإنسان يمنح كل قوة طبيعية شخصية روحانية مستقلة، إله للشمس وآخر للمطر وثالث للخصوبة، وبدأت الأساطير تحكي صراعاتهم وحكمتهم وحبهم وغضبهم، وظهر الاعتقاد بأن لكل فعل في الكون سببًا مقدسًا، وأن على الإنسان أن يعيش في انسجام مع إرادة هذه الكائنات السماوية.

وفي هذه المرحلة صار الدين أكثر تنظيمًا، ومعقدًا، وأكثر قدرة على تفسير الظواهر، وأصبحت الطقوس شعيرة يومية تحاكي قصص الآلهة، وتدخل الإنسان في شبكة من الرموز والمعاني التي تربطه بما هو أعلى من ذاته، فتتحول العبادة من مجرد خوف إلى مشاركة في الكون الروحي.

ومع مرور الزمن، ظهر نوع آخر من الأديان، حيث صار المعبود **شخصية بشرية متفوقة**، قد تكون ملكًا أو نبيًا أو حكيمًا، يعبد لأجل قوته الخارقة أو حكمته العظيمة، وهنا بدأ الإنسان يرى في الإنسان الآخر انعكاسًا لما هو إلهي، فامتزجت الإنسانية بالقداسة، وأصبح الدين وسيلة لتقليد الفضائل وتقدير الأخلاق وتوجيه الحياة، وقد برزت هذه المرحلة في ثقافات كثيرة، من قدماء المصريين الذين عبدوا فراعنتهم كآلهة، إلى بعض الشخصيات التاريخية التي نالت مقامًا شبه مقدس بين شعوبها، وهكذا تحول المعبود من قوة طبيعية إلى كيان بشري يعكس الصفات العليا، ويجعل من الدين تجربة تربوية وأخلاقية وروحية في الوقت نفسه.

وبالتوازي، تطورت أديان أخرى لتقدس **أشياءً أو رموزًا محددة**،

من تماثيل وأحجار وأدوات وسواحل وأماكن مقدسة، ففي هذه الحالة، أصبح الشيء نفسه رمزًا للقداسة، والعبادة وسيلة للاتصال بالغيبي، وعكست هذه الممارسات إيمان الإنسان بأن الكون يحمل سرًا يمكن اكتشافه من خلال التقديس الرمزي للأشياء، وكانت الطقوس تحيط بهذه الأشياء، وتخلق شعورًا بالارتباط الروحي والعلاقة المباشرة مع القوى الخفية، وهنا ظهر بُعد جديد للدين، حيث صارت التجربة الروحية شخصية وعميقة ومباشرة، ولم تعد مجرد اعتقاد نظري، بل فعل حي مستمر يمس الجسد والعقل والروح معًا.

وفي النهاية، ومع تطور الفكر البشري وتجارب الحضارات الكبرى، ظهر الدين التوحيدي، حيث صار المعبود **واحدًا لا شريك له، الإله الواحد الأحد، الكامل في صفاته، الغني عن العالم، ولكن القريب من قلب الإنسان**، وكان هذا الانتقال من تعدد الآلهة إلى الإله الواحد رحلة روحية وفكرية هائلة، حيث اختزل الإنسان القوى العديدة في كيان واحد، ووضع معناه ووجوده في علاقة مباشرة مع المطلق، وهنا أصبح الدين تجربة تأملية عميقة، بحثًا عن المعنى والحق والعدل والنور الداخلي، لم يعد عبادة للطبيعة أو للآلهة أو للأشياء أو البشر فقط، بل صرخة الروح في وجه الكون، وسعيًا للقاء المطلق، وفهم الوجود من خلال علاقة شخصية وحية

مع ما يتجاوز كل محدودية وكل قصور، وهكذا يظل الدين، منذ عبادة الطبيعة وحتى الإله الواحد الأحد، رحلة الإنسان في البحث عن ذاته، عن الحق، عن الجمال، عن الأبدية، رحلة تتطور فيها الوعي الروحي، ويتوسع فيها القلب، ويزداد الإدراك بأن كل ما ابتكره الإنسان من أشكال للعبادة ما هو إلا انعكاس لحاجة عميقة للاتصال بما هو أكبر من ذاته، بما هو خالد، بما يمنح للحياة معنى ويجعل من الوجود تجربة روحية تتجاوز الزمن والمكان.

الأديان السماوية

منذ أن بدأ الإنسان ينظر إلى السماء ويتساءل عن النجوم والكواكب والظواهر التي تتجاوز قدراته، ومنذ أن شعر بضعفه أمام الموت والقدر، كانت الحاجة إلى ما هو أعلى من ذاته هي التي خلقت الأديان السماوية، فهي ليست مجرد نصوص أو شرائع، بل هي صرخة الروح البشرية في مواجهة الغموض، وسعيها لفهم الوجود ومعناه. الأديان السماوية جاءت لتربط الإنسان بالمطلق، لتكشف له عن القيم العليا، لتمنحه خريطة أخلاقية وروحية في عالم مليء بالتقلبات والصراعات، فهي دعوة للتأمل في خلق الله، وحافزًا للارتقاء بالروح فوق جموح المادة، وفرصة لفهم النفس والكون معًا. دراسة الأديان السماوية ليست مجرد بحث عن نصوص وتاريخ، بل رحلة في أعماق التجربة الإنسانية، في سعي الإنسان الدائم نحو الحق، نحو العدل، نحو الإيمان بما يتجاوز حدود الزمن والمكان، وهي محاولة لإدراك جوهر الرسالات التي جاء بها الأنبياء لتكون نورًا يهدي البشرية في ظلمات الحياة ودوامة الشك والريبة.

الدين اليهودي :

❁ دار العبادة ← كنيس ..

❁ **رجل الدين** ← رباني أو حبر أو حاخام

❁ **الطوائف اليهودية** ← ظهرت خلال الحقبة الهيلينستية ←

● **طوائف معاصرة (لا تزال موجودة حتى اليوم)** ←

= **الأرثذوكسية** ← الاعتراف بكل ما يوجد في الكتاب المقدس (التلمود منزل) & منها طائفة متشددة للغاية تدعى **الحريديم** (تأسست عام **1938** & عددهم حاليا **5** آلاف شخص & يعيشون في القدس)

= **الإصلاحية** ← ظهرت في القرن **19** مع تفوق العلم على الدين (التلمود بشري و يؤمنون بالتوراة فقط)

= **المحافظة** ← وسط بين السابقين (يؤمنون بالتلمود على أن يفسر عبر العلم الحديث)

= **السامريون** ← من أقدم الطوائف و تعدادهم اليوم قرابة الألف ، يعتبرون أنفسهم اليهود الحقيقيين أتباع النبي موسى و يدعون للسلام و نبذ العنف و يتجنبون الانخراط في السياسة ..

● **الطوائف التاريخية القديمة** ←

= **الفريسيين** ← مشابهة للأرثذوكسية

= **الصدوقيين** ← يتبعون الكاهن صدوق الذي عينه النبي داود & مشابهة للإصلاحية

= **الأسينيين (الهسيديين)** ← نسبة لكلمة أسين و تعني باليونانية الصامت & قاومت هلنست الدين اليهودي ..

و يقسم اليهود أيضاً إلى ←

● **يهود غربيون (يهود أشكناز)** ← يتبعون اليهودية الفلسطينية & منغلقون على أنفسهم & هم يهود الشتات في أوروبا في عصر الامبراطورية الرومانية خلال الألفية الأولى بعد الميلاد ..

● **يهود شرقيون (يهود سفرديم)** ← يتبعون اليهودية البابلية & منفتحون على الآخرين ..

❁ **الكتب المقدسة** : تقسم الكتب المقدسة اليهودية الى:

⊙**التناخ** ← **ت & ن & خ** ، يلقب أيضاً (المقرا) أو (العهد القديم عند المسيحيين حيث أنّ الانجيل = عهد قديم + جديد)

⋖ **ت** ← **توراة** (أسفار موسى الخمسة)

⋖ **ن** ← **نبوئيم** (قصص الأنبياء)

⋖ **خ** ← **ختوبيم** (الأدبيات)

ملاحظة : تم تجميع التناخ عام **285** قبل الميلاد :

= قام بطليموس الثاني حاكم مصر في الفترة الهلينستية بجمع الأسفار اليهودية جميعها في كتاب التناخ و ترجمه للاغريقية لدمج يهود مصر مع باقي المجتمع ..

= حل محل الأسفار المختلفة لليهود المتفرقين في مصر & فلسطين & بابل & بلاد فارس ..

= ترجمه اليهود ثانية الى العبرية ..

= يدعوه اليهود الترجمة السبعونية (جمعه **72** كاهن في **72** يوم في جزيرة فوروس) ..

⊙**الكتب الأساسية القانونية** ← معترف بها من رجال الدين

اليهودي ← **7** كتب رئيسية ←

- **ترجوم** ← الترجمة بالأرامية (الكتاب المقدس قبل التناخ)..
- **مشنا** ← توراة شفهية نزلت على موسى على جبل طور سيناء
- **تلمود** ← الموسوعة اليهودية (فيه كل ما يخص حياة الانسان اليهودي)
- **هلاخا** ← الشرع و الفقه اليهودي
- **هخادة** ← الكتاب الأساس لليهود(تفسيرات قصص الأنبياء)
- **كابالا** ← الفلسفة الباطنية اليهودية (ايمان بحرفية النص و المعاني الدفينة لها)
- **مدراش** ← التفاسير اليهودية

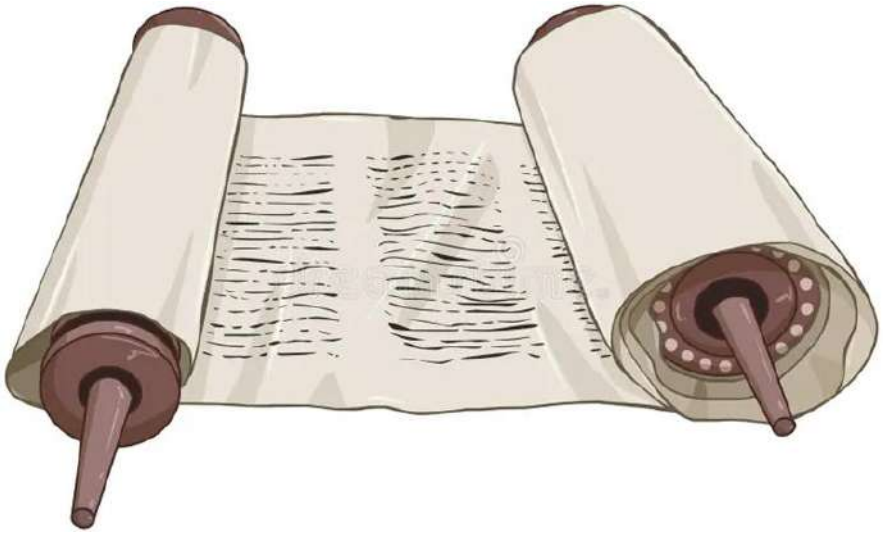

⊙**الكتب الثانوية غير القانونية** ← لا يعترف بها رجال الدين اليهودي ← **4** كتب رئيسية ←

- **أسفار أبوكريفا** ← النصوص المخفية ..
- **أسفار مزيفة** ← كتبتها طائفة الأسينين (ذات طابع أخروي

خاص برجال الدين و ليس العامة)

- **مخطوطات قمران** ← كتبتها طائفة الأسينين أيضاً
- **الكتب المفقودة** ← ورد اسمها في التناخ & لم يعثر عليها

الدين المسيحي :

- **دار العبادة** ← كنيسة ..
- **رجل الدين** ←

● **رتبة أكليروس** ←

◉ الشمامسة (خمس رتب)

◉ القساوسة (قس ← قمّص ← خوري)

◉ الأساقفة (أسقف ← مطران ← بطريرك ← بابا)

● **رتبة الرهبان**

● **رتبة العلمانيين**

❁ **الطوائف المسيحية** ←

◉ **المسيحية المبكرة** (حوالي القرن **5**) ← كنيسة المشرق الآشورية (مجمع أفسس) & الأرثذوكسية المشرقية ..

◉ **الانشقاق العظيم** (القرن **11**) ← الأرثذوكسية الشرقية & الكاثوليك (شرقية كالموارنة & غربية)

◉ **الطوائف الجديدة** ←

= البروتستانتية (القرن **16**) بأقسامها المختلفة (استرجاعية & تجديدية العماد & أنجيليكية & لوثرية & كالفينية ..)

= شهود يهوه (القرن **19**) ..

● **الفرق بين الأرثذوكس & الكاثوليك** ←

للمسيح طبيعتان : **اللاهوت** (الذات الإلهية) & **الناسوت** (الإنسان) ..

- الأرثذوكس يرفضون الطبيعتين و يؤمنون بطبيعة واحدة إلهية للمسيح أما الكاثوليك فيؤمنون بهما
- الروح القدس منبثقة من الأب فقط عند الأرثذوكس & من الأب و الابن عند الكاثوليك
- العذراء تحتاج الفداء عند الأرثذوكس & ولدت بلا خطيئة أصلية عند الكاثوليك
- يسمح للقس بالزواج مرة واحدة قبل تلقي سر الكهنوت عند الأرثذوكس & ممنوع كلياً عند الكاثوليك
- عيد الميلاد عند الأرثذوكس في **6** كانون الثاني & عند الكاثوليك في **25** كانون الأول
- كلاهما يؤمنان بسلطة البابا
- عدد الأسفار **46** عند كليهما
- يسمح بالصور دون التماثيل عندهما

● **البروتستانتينية** نشأت على يد الراهب الألماني **مارتن لوثر** الذي أكد على النقاط التالية :

- الغفران لا يحتاج لكفارة حيث حارب صكوك الغفران (منح الغفران مقابل المال التي استخدمها **ليون العاشر** و هو بابا الكنيسة الكاثوليكية السابع)
- رفض احتكار البابا لتفسير الكتاب المقدس و يرى أن من حق كل مسيحي تفسيره
- اكتفوا ب **39** سفراً
- حرية زواج القس

- يحرمون الصور & التماثيل
- يؤمنون بطبيعتين للمسيح لاهوت & ناسوت كالكاثوليك ..
- يؤمنون بأن الروح القدس انبثق من الأب & الابن كالكاثوليك ..
- يؤمنون بأن العذراء ولدت بلا خطيئة أصلية كالكاثوليك ..

● **شهود يهوه :** طائفة تجمع بين المسيحية و اليهودية & أنشأها **تشارلز راسل** عام **1874** & يتبعها اليوم **8** مليون شخص & مقرهم مدينة نيويورك & يؤمنون أن المسيح ابن الله و رئيس مملكته لكنهم لا يؤمنون بالثالوث و لا بالصلب و لا بقيامة المسيح جسداً..

❁ **الكتاب المقدس** ← هو الإنجيل و له عدة نسخ تبعاً للرسول الذي كتبها ..

⊙ **أناجيل معترف بها من قبل الكنيسة** ← **4** أناجيل كتبت في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي و هي حسب الترتيب ←

● **إنجيل مرقس** ← لم يذكر ان للمسيح طبيعة الهية

● **إنجيل متى** ← اضاف الى مرقس الطبيعة الالهية للمسيح لكن بنسب بشري يعود الى ابراهيم ..

● **إنجيل لوقا** ← يختلف قليلا عن متى و يرجع نسب المسيح الى آدم مباشرة ..

● **إنجيل يوحنا** ← مختلف كثيرا عن الثلاثة السابقين (الأناجيل الإيزائية أو المتوازية و المتشابهة) و يقول بأن المسيح بدون طبيعة بشرية بل الهية فحسب أي نسبه من الله مباشرة (كلمة

الله)

⊙ **الاناجيل المنحولة (الأبوكريفية)** ← **7** أناجيل لا تعترف بها الكنيسة ← توما & فيليبس & الحق & مريم & يعقوب & الطفولة (كلها كتبت في القرنين **2** & **3** ميلادي) & برنابا (القرن **15** ميلادي)

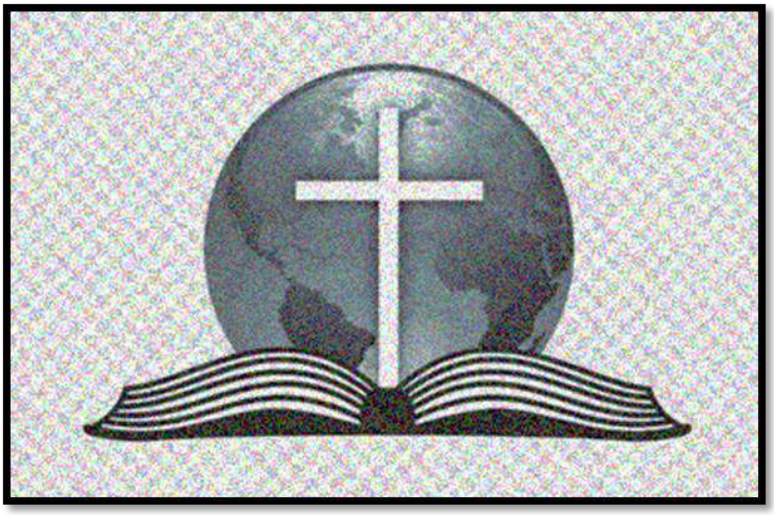

ثالثاً ، الدين الإسلامي :

❁ **دار العبادة** ← جامع ..

❁ **رجل الدين** ← الشيخ ..

❁ **الطوائف الإسلامية** ←

● **السنة** ← المذاهب الأربعة (شافعي & مالكي & حنفي & حنبلي) تقدس آل بيت نبي الرحمة و الصحابة الذين عاشوا في عهده كلهم ..

● **الشيعة** ←

➢ جعفرية ← اثني عشري & علوي (نصيري) & علاهي ..

(تقدس آل بيت نبي الرحمة الاثني عشر)

➢ اسماعيلية ← درزي & مستعلي & نزاري & سبعي & طيبي & قرمطي ..

(تقدس إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق ، و الدروز يقدسون النبي شعيب أيضاً)..

➢ زيدية : تقدس زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ..

● **الإباضية** : تدعو إلى عقاب مرتكبي الكبائر و عزلهم حتى و لو كانوا من حكام المسلمين ..

● **الصوفية** ← مولوية & بكداشية & نقشبندية & مريدية & تيجانية & رفاعية & قادرية & جشتية & سهروردية (طوائف روحانية مسالمة)

● **السلفية التكفيرية** : ترفض و تكفّر و تحلل قتل أي دين أو طائفة أخرى إسلامية أو سماوية أو غيرها..

❁ **الكتاب المقدس** ← **القرآن الكريم**

و البعض يقدس الأحاديث النبوية أيضاً و يعتبرها كلاماً منزلاً يجب اتباعه كله بدون غربلة أو تدقيق في صحتها .. و هناك

كوكبة من الكتب الدينية الإضافية تشتمل على اجتهادات في تفسير القرآن و الأحاديث النبوية ..

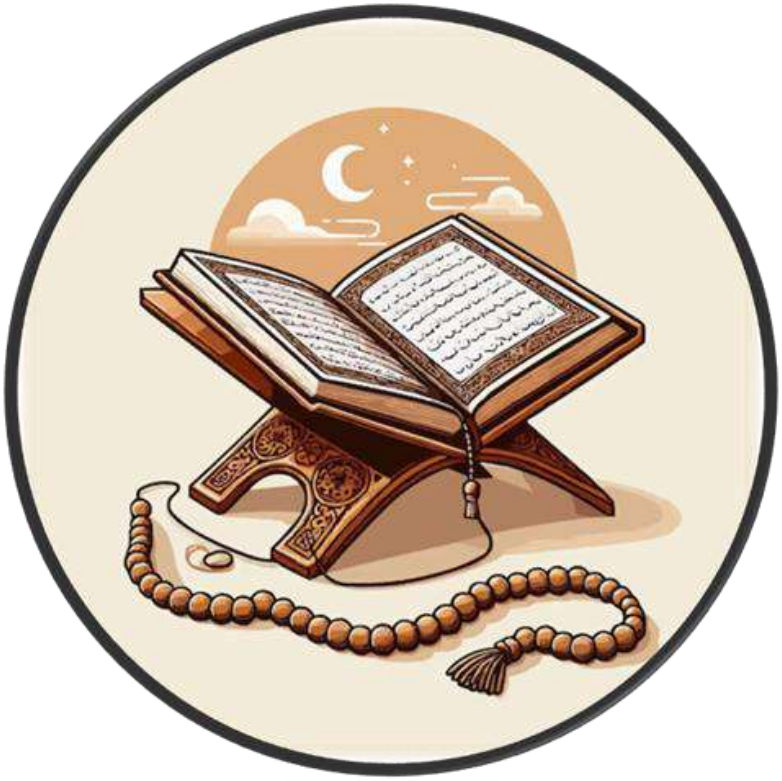

البارئ أوجد الطوائف الكثيرة من مبدأ التنوع الخلّاق و التميز الإيجابي .. أي أنه اختلاف لا خلاف .. أما الخلافات الطائفية فتأتي دوماً من **ملوك الطوائف** من رجال دين أو قادة سياسيين فاسدين يتبنون مبدأ فرّق تسد كي يحصّلوا المكاسب الفردية فقط لا غير .. لذا متى وجدت شخص طائفي متعصّب تأكد أن وراءه رجل دين فاسد أو رجل سياسي محتال ، لذا لا تجعل نفسك بيدقاً بيد أحد ، فكل البشر أخوة في الإنسانية من أب واحد هو آدم و أم واحدة هي حواء فكيف يكره الأخوة بعضهم ، صحيح أن هنالك اختلافات بينهم لكن هذا لا يبرر وجود الخلافات ؟!!

الأديان الأرضية

منذ أولى خطوات الإنسان على الأرض، ومنذ أن بدأ يواجه الطبيعة العاتية ويتساءل عن الغيم والمطر والريح والشمس والقمر، ولدت الحاجة إلى المعبود الذي يسكن هذا الكون ويمنحه معنى.
الأديان الأرضية ليست مجرد نصوص أو شعائر، بل هي انعكاس للحاجة الروحية العميقة في النفس البشرية، وسعي الإنسان الدائم لفهم حياته ومكانه في الكون، ومحاولة للتواصل مع قوى تتجاوز قدراته الفردية. هي شكل من أشكال التعبير عن الخوف والأمل، عن الحب والرهبة، عن الفضيلة والطموح، وهي مرآة للإنسان ذاته، تعكس صراعاته، أحلامه، وتساؤلاته الوجودية. دراسة الأديان الأرضية هي رحلة عبر حضارات البشر الأولى، عبر طقوسهم ورموزهم وأساطيرهم، محاولة لفهم كيف صنع الإنسان إلهه من الطبيعة والرموز والأشياء التي حوله، وكيف تطورت عقيدته لتصبح شبكة غنية من المعاني التي تربطه بالعالم وبروحه.

① ديانات بلاد ما بين النهرين :

❁ إيزيدية (دواسون) :

- المؤسس هو المتصوف (**عدي بن مسافر**) ..
- جوهر عقيدتهم : إله خلق العالم و جعله تحت حكم **7** ملائكة أهمهم طاووس مصدر الخير الذي خلقه الإله من نوره ..
- يؤمنون بأنهم مختلفون عن بقية البشر بأنهم خلقوا مباشرة من آدم بدون حواء ..
- يؤمنون بأن ديانتهم أول ديانة في العالم ..
- قبلتهم نحو الشمس ..
- يؤمنون بالتقمص ..

● عندهم كتابان مقدسان : **الكتاب الأسود** (رش) & **الجلوة** ..

❁ **مندائية** (**صابئة**) :

● تدعو لعبادة الاله الاوحد في الكون (الهي العظيم = الحي العظيم) الذي خلق الروح (مانا) من الوعاء الكوني (تنا) ثم خلق الكائنات النورانية (الأثرا) منها عبر **4** مراحل :

◉ المرحلة **1** ← خلق الكائن النوراني الأعظم (مندا إد هي = عارف الحي = مؤسس الديانة المندائية و رسولها) ومنه انبثقت كائنات نورانية أخرى ..

◉ المراحل **2** و **3** و **4** ← تمرد بعض الكائنات النورانية فتم عقابها على مراحل (العيش أسفل عالم النور ثم العيش خارج عالم النور ثم العيش في عالم المطهر) ..

● الأنبياء المقدسون عندهم هم : آدم و ابنه شيت & نوح و ابنه سام & زكريا و ابنه يحيى (الأقدس فيهم هو يحيى) ..

● تعتبر أساس الفكر الغنوصي الذي اجتاح الحضارة الهلنستية ..

● يتشابهون مع اليهودية بالاحتفال بعيد عاشوراء كذكرى خروجهم من مصر & مع المسيحية بطقوس التعميد & مع الإسلام بالوضوء قبل الصلاة و إن كانت قبلتهم نحو القطب الشمالي ..

● بحسب عقيدتهم فالحياة البشرية تمر بأربع مراحل:

= **الأولى** و انتهت بالسيف ..

= **الثانية** و انتهت بالنار ..

= **الثالثة** و انتهت بالطوفان ..

= **الرابعة** و ستنتهي بالطوفان أيضاً و ثقب الأوزون يؤيد هذا

الكلام بشدة !!..

- كتابهم المقدس ← **جنزا ربا** (الكنز العظيم) ..

❁كاكائية أو اليارسانية أو الأخية أو أهل الحق :

- مؤسس الديانة ← السلطان إسحق البرزنجي في القرن **14** ..
- كاكائية كلمة كردية مشتقة من **كاكا** و تعني الأخ العطوف .. أما اليارسانية فكلمة كردية مؤلفة من مقطعين (**يار** و تعني المتصوف) و (**سان** و تعني ذو المكانة الرفيعة) ..
- يؤمنون بتناسخ الأرواح & لا يؤمنون بعذاب القبر & لا يلعنون أياً من المخلوقات حتى الشيطان ..
- يطلقون شواربهم و يحرمون حلاقتها ..

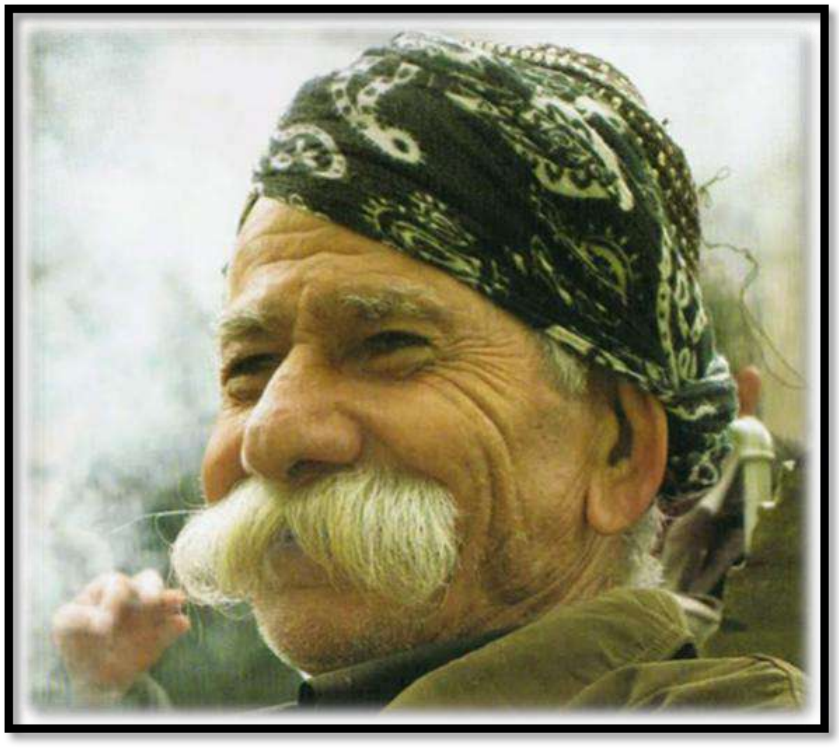

- كتابهم المقدس (سه رئه نجام) و هو باللغة الكردية و يعني اسمه بالعربية (النتيجة العظمى)..

② ديانات بلاد فارس :

❁ الزرادشتية :

- المؤسس ← زار دشت و هو النبي الأوحد للإله الاوحد (أهورا مازدا) حسب زعمهم ..
- الحياة الدنيا عبارة عن صراع بين الإله أهورا مازدا & الشيطان أهرمان ..
- يقدسون النار ..
- كتابهم المقدس ← **أفيستا** (الأصل) ..

❁ المزدكية :

- دين وثني قديم أسسه الفارسي مزدك (القرن **5** ميلادي) كتصحيح للديانة الزرادشتية فادعى أنه رسول الاله أهورا مازدا ..

● جوهر العقيدة ← الناس سواسية ← شيوعية كل من (المال & النساء) بين الناس ..

● دعمها الملك الفارسي قباذ الأول (الديانة الرسمية في عهده) حتى خلعه كسرى و اعاد الديانة الزرادشتية

❁ البهائية :

● تأسست على يد **علي محمد الشيرازمي** الذي ادعى تلقيه رسالة سماوية & سميت دعوته الحركة البابية **1844** لأنه لقب نفسه (الباب) ..

● سميت لاحقا البهائية نسبة الى **ميرزا حسن علي النوري** الملقب (بهاء الله) ← شاب ثري نفي من ايران الى العراق بسبب اتباعه البابية و نشر رسالة رفيقه الباب و اعتبار نفسه النبي الذي تنبأ الباب بقدومه ● أعتبر بهاء الله مرتداً عن الاسلام و نفي من العراق ← اسطنبول ← أدرنة ← مصر ← عكا حيث حبس في سجنها الشهير ..

● قبلتهم عكا & حيفا ..

● يركزون على ثالوث ← تهذيب النفس & الابتعاد عن السياسة & المشاركة المجتمعية ..

● شعارهم النجمة التساعية ..

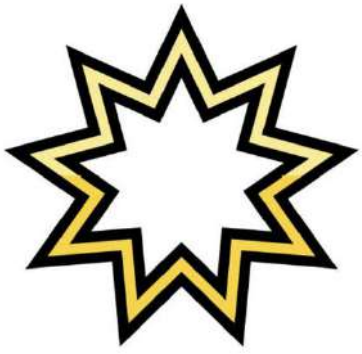

❁ الصفوية :

- نشأت من مدينة (أردبيل) في أذربيجان عام **1501** بقيادة (اسماعيل الصفوي) المنحدر من أصل كردي ..
- أصل التسمية دعوة الناس إلى التصوف على المذهب الشيعي الاثني عشري ..
- انتهت عام **1736** على يد (نادر خان) الذي عزل الشاه (طهماسب الثاني) و أعلن قيام الدولة الأفشارية ..

❁ المانوية :

- المؤسس ← ماني (ولد في بابل العراقية في القرن **3** ميلادي لأبوين فارسيين) ..
- جوهر العقيدة ← المثنوية (النور و الظلام أو الخير و الشر) & الغنوصية (المعرفة) ..
- كتابهم المقدس ← **الانجيل** (كتبه ماني بنفسه و يضم معتقداته و شرحها) ..

③ ديانات جنوب آسيا :

❁ الهندوسية :

- دين وثني يعتنقه غالب الشعب الهندي ..
- ليس هناك من مصدر معتمد يمكن من خلاله تحديد الزمن الفعلي لنشأة الهندوسية كونها لم تنشأ من خلال دعوة شخص و إنما هي عبارة عن معتقدات & عادات قوم تراكمت ودونت وحفظت

فاتخذتها من بعدهم الأجيال ديناً يتبعونه ..

● لديهك آلاف الآلهة و أهمهم **3** :

◉ **سانج هيانج (براهما)** ← و هو الخالق ..

◉ **فيشنو** ← مهمته الحفاظ على العالم ..

◉ **شيفا** ← مسؤول عن هلاك و دمار العالم ..

● يقدسون الحيوانات خاصة (البقرة & أفعى الناجا) و يقيمون لها المهرجانات ..

● لا وجود للجنة أو النار لديهم بل تناسخ مستمر للأرواح (الفعل الصالح ← حياة أفضل في الجيل التالي) ..

● كتابهم المقدس ← فيدا و يضم **4** أقسام :

◉ **ربج** ← عند التضرع للآلهة ..

◉ **ياجور** ← عند تقديم القرابين ..

◉ **ساما** ← عند الصلاة ..

◉ **آثار** ← عند الرقي و السحر ..

● لديهم نظام طبقات اجتماعية يدعى (**فارنا**) :

= **بيضاء/ برهميون** ← قساوسة & علماء

= **حمراء/ كاشتري** ← حكام & إداريون & جنود

= **صفراء / فيزية** ← مزارعون & تجار

= **سوداء / سودرا** ← عمال

= **منبوذون/ شودرا/ أطفال الله** ← خدمات حقيرة ← ألغيت عام **1950** ..

● الطقوس ← الطهارة (الاغتسال) & الصلاة (فردية مرتين صباحاً و مساءً) & اليوغا & الحج (إلى نهر الغانج سنويا للاغتسال و مسح الذنوب) & حرق جثث الموتى (ينثر الرماد في نهر الغانج) & وضيمة السرادة على شرف الموتى ..

❁ الجينية :

● انشقت عن الهندوسية ← لا يؤمنون بآلهتها و لا بطبقاتها و لا بتناسخ الأرواح ..

● مشتقة من كلمة جينا السينسكريتية و تعني المنتصر

● شعارهم ← خلقنا لنساعد بعضنا البعض ..

● عقيدتهم ← ثالوث : لا عنف (نباتيون و لا يؤذون الحيوانات) & الواقع متعدد الجوانب & الزهد الشديد و عدم التعلق بالمادة ..

● شعارهم ← الصليب المعقوف المنقط & اليد (ترمز الى اللاعنف و فيها عجلة الدارما ترمز الى وقف التناسخ)

❁ السيخ :

● النشأة ← القرن **15** كمزيج بين الإسلام & الهندوسية ..

● تعني كلمة سيخ بالسينسكريتية ← (التابع / التلميذ)

● لديهم **10** معلمين روحيين (أولهم ناناك و آخرهم جون بدس) و يلقب كل منهم جورو = المعلم ..

● كتابهم المقدس ← **جورو جرانت صاهيب** (كتبه المعلم الخامس) ..

● جوهر العقيدة ← وحدانية الخالق & نكران الذات & المساواة بين البشر ..

● **5** كافات المقدسة (وذلك لانها كلها تبدأ بحرف الكاف بلغتهم) ←

◉ **إطالة الشعر ..**

◉ **حمل المشط دائماً ..**

◉ **لبس سروال متسع ..**

◉ **لبس سوار من الفولاذ حول المعصم ..**

◉ **حمل خنجر من الفولاذ دائماً ..**

● مركزهم الديني←ولاية البنجاب شمال غرب الهند

● يحرمون الرهبنة & تعدد الزوجات ..

● قبلتهم و حجهم الى معبدهم المقدس ← (**غور دوارا** = الهيكل الذهبي) ← مدينة **أمريتسار** في ولاية البنجاب و تم تشييده في العام **1604** للميلاد ..

● العيد الرئيسي عندهم ← عيد رأس السنة السيخية = **بيساكي** (**15** نيسان) ..

● يحلمون بدولة مستقلة **خال ستان** ..

● حرب أهلية تاريخية مع الهندوس ..

❁ الكاودائية :

● ديانة توحيدية تأسست في سنة **1926** في جنوب **فيتنام** في مدينة **تاي ننه** ..

● **كاو داي** هو الإله الأعلى لهذه الديانة ومعناه القوة الكبرى ..

● جمعت العديد من العناصر من الديانة الشعبية الفيتنامية مثل عبادة الأسلاف & المبادئ الأخلاقية من الكونفوشيوسية & الممارسات الغامضة من الطاوية & نظريات الكارما والولادة من البوذية & التنظيم الهرمي من الكاثوليكية الرومانية ..

● يبلغ عدد معتنقي هذه الديانة حوالي **3.2** مليون نسمة واغلبهم من أصل فيتنامي ..

● ينخرط أتباعها في ممارسات عديدة مثل (الصلاة & تبجيل الأجداد & اللاعنف & النباتية) بهدف الاتحاد مع الله والتحرر من **السامسارا** (نقيض النيرفانا أي التعلق بالدنيا) ..

● يتم تمثيل الإله كعين في مثلث و هو رمز يظهر على واجهات معابد الطائفة ...

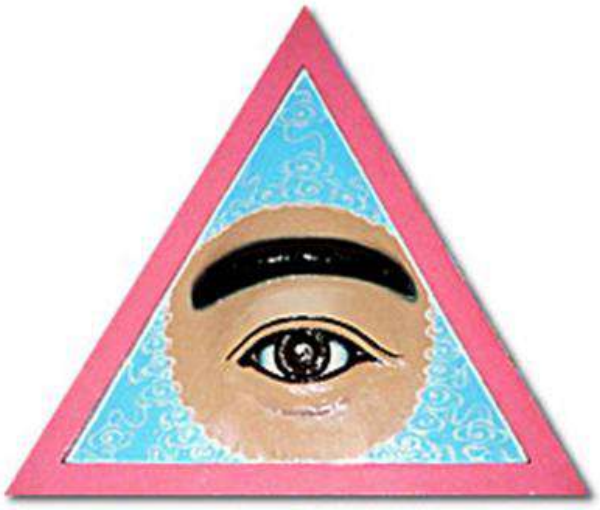

❁ البوذية :

المؤسس الأصلي ← **غوتاما** :

- لديه عدة ألقاب أشهرها :

◉ **سيدهارتا** = الانجاز المثالي ← لأن والدته الملكة مايا رأت في منامها أنها ستلد شخصاً عظيماً ..

◉ **بوذا** = المتنور بعد أن وصل إلى مرحلة الاستنارة الكاملة ..

- الأب **أودو دانا** (قائد قبيلة شاكا) & الأم **مايا**..
- ولد عام **536** قبل الميلاد في النيبال عند سفوح الهيملايا ..
- ولد في مجتمع هندوسي ..
- أراد له والده أن يصبح حاكماً و ليس معلماً فعزله عن الحياة الحقيقية و جنبه الألم و الأسى فعاش في ترف ..

● تزوج بعمر **16** سنة من قريبته **شوادرا** ..

● بعمر **29** سنة قرر الخروج من قصر والده و رؤية العالم الحقيقي فذهل من الفقر & المرض & الموت خارجاً ← قرر البحث عن سر المعاناة في الحياة ← تخلى عن عائلته & زوجته & أغراضه الشخصية و تنقل بين البقاع زاهدا بكل الملذات و عاش حياة بسيطة يشوبها الصيام المطول ← اكتشف أن الطريق المثلى للحياة هي الطريق الوسطى (الوسط بين الاسراف & الحرمان) ..

● أسس أول جماعة رهبان (**سانغا**) و نقل تعاليمه اليهم شفهياً ..

● تقوم فلسفته على **4** حقائق شرحها في عظته الأولى بعد بلوغه الاستنارة الكاملة ←

◉ عجلة الدارما الثمانية الرؤوس ← النظر السليم & النية السليمة & الكلمة السليمة & العمل السليم & كسب الرزق السليم & الجهد السليم & الذهن السليم & التركيز السليم ..

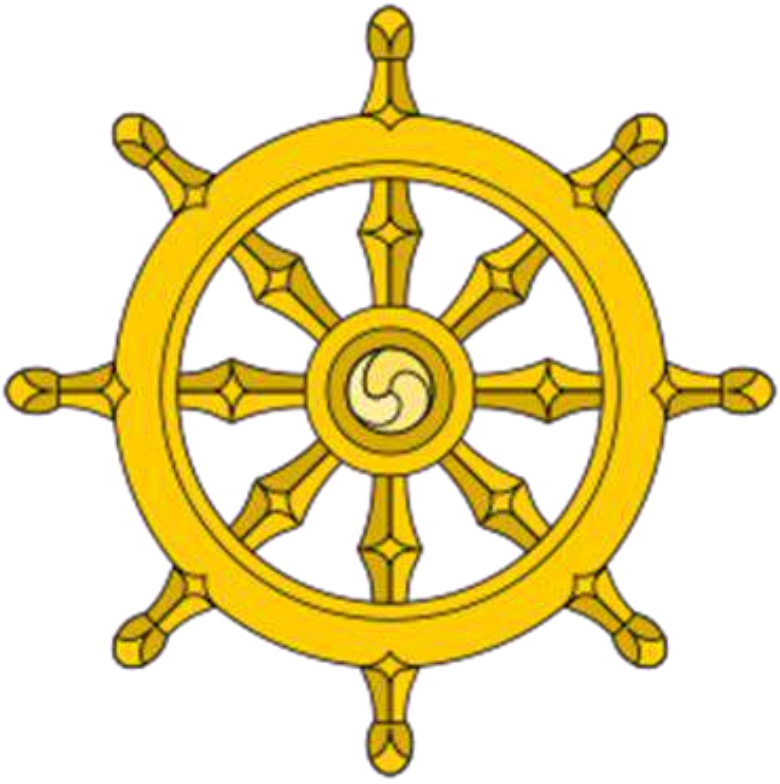

◉ المعاناة حتمية ..

◉ المعاناة سببها الرغبة ..

◉ الحرية تكون بالتحرر من الرغبة = النيرفانا = الحرية الكاملة

● هو الوحيد من مؤسسي الديانات الكبرى المتبعة الى اليوم الذي لم يختبر حالة غيبية (تعاليمه مبنية على التجربة الخاصة و التفكير و التأمل) ..

● توفي عام **483** قبل الميلاد في الهند **..**

④ ديانات الصين :

❁ الكونفوشية :

● فلسفة هيمنت على الصين منذ **2000** سنة حتى اليوم ..

● المؤسس ← كونفوشيوس **600** قبل الميلاد و اسمه مؤلف من مقطعين (كونغ = السيد & فودزو = اسمه) .. و اعتمد على كتاب التغيرات في فلسفته ..

● ظروف الصين في تلك الفترة ← تحول جذري :

◉ تحول من العصر البرونزي الى العصر الحديدي

◉ تحول اجتماعي جذري ← الموهبة و الامكانيات حلت مكان التوريث في الحكم ..

● عاش كونفوشيوس يتيم الاب و فقيراً & كان نابغة ملماً بعلوم كثيرة ..

● عمل كونفوشيوس في الاعمال الحكومية حتى عمر **60** سنة و عندها أنشأ مدارس لتعليم فلسفته حتى توفي بعمر **73** سنة ← نشر تلاميذه رسالته في الصين ..

● الكونفوشية طريقة حياة تركز على الانسان و ليس الماورائيات و مبنية على ثالوث ←

◉ **أخلاق شخصية** ← سوبيريور مان (الانسان المتسامي) & انفريور مان (الانسان الغرائزي المتدني) ..

◉ **سلوكيات اجتماعية حميدة ..**

◉ **حكومة تخدم الشعب و تنشر الأخلاق و الفضيلة ..**

● جعل كونفوشيوس التعليم متاحا لكافة الشعب بعد أن كان محصورا بالطبقات الراقية ..

● تؤكد الكونفوشية على ←

= تقديس الأسلاف ..

= تقديس قوة السماء ..

❁ **الطاوية** :

● اعتمدت كالكونفوشية على أشهر كتاب في تاريخ الصين و هو (كتاب التغيرات) ..

● المؤسس ← **لاو تسو** الذي قرأ كتاب التغيرات و أنشأ بعدها الطاوية في القرن **1** قبل الميلاد ..

● كلمة **تاو** تعني الطريق الثابت غير المتغير الموجود قبل المتغيرات و يتحكم بها (على الانسان أن يسلك هذا الطريق بسلاسة) ..

شعارها الدائرة بنصفين يين و يانغ (أبيض و أسود & خير و شر & نور و ظلام & ذكر و أنثى & شمس و قمر .. و غيرها من الثنائيات في الحياة) ..

● الطريق الثابت فيها (التاو) يحوي قوتين متعاكستين (يين & يانغ) اي الشر & الخير و هو رمز الطاوية كما قلنا و هاتين القوتين ليستا متصارعتين بل متناغمتين لتحقيق غايات سامية (الخير و الشر غير متصارعين في الطاوية عكس بقية الديانات

اذ لا يوجد أي منهما بشكل مطلق و صاف) اذ يقول لاو تسو انّ **سر الحياة لا يكمن في اعتماد اليانغ دون اليين بل بالتوازن بينهما**

● طقس التأمل (**اليوغا**) هام جداً في الطاوية للوصول الى أسرارها و اعتمدها متبعو الطاوية بعد وفاة لاو ← التحكم بالنفس و ضبط رغباتها ..

● الدين الرسمي للامبراطورية الصينية منذ القرن **7** ميلادي

⑤ ديانات اليابان :

❁ الشنتوية :

● الدين الرئيسي في اليابان منذ القرن **7** قبل الميلاد ● أسلوب حياة بدون شرائع و أحكام ..

● الاسم (شن = الاله & تاو = الطريق) ..

● جوهر العقيدة ← ثالوث ←

◉ **الكامي** (القوة الخالقة للكون المتغلغلة في كل ثنايا الكون) & البشر أبناء الكامي و يتحولون بعد موتهم الى كامي ..

◉ **أما تيرازو** = إله الشمس ← بحسب الأساطير اليابانية تنحدر منها السلالة الحاكمة الإمبراطورية..

◉ **الأرواح الشريرة** مصدر كل شر ..

● الطقوس ← رقص & إنشاد (**ماتسوري**) حتى الوصول الى مرحلة النشوة ، و تتم في المعابد أو ما يسمى (**جينجا**) ← **طقوس أفراح و أتراح** مؤلفة من **5** أركان ←

◉ التطهر ← الاغتسال بالمياه ..

◉ الصلاة & الدعاء ..

◉ تقديم القرابين ← طعام & مال ..

◉ موائد طعام كبرى ..

◉ الرقص مع الموسيقى ← النشوة & الاتصال بالكامي ..

● تحولت طقوسهم لفلكلور شعبي يشارك فيه حتى اللادينيين (**60** % من اليابانيين لا دينيون & **5** % شنتويون & **35** % بوذيون) ..

● جسد الميت عندهم نجس بلا روح و يدفن في التراب على الطريقة البوذية (يؤمنون أن بوذا أحد تجليات الكامي) ..

⑥ ديانات إفريقيا :

❁ ديانة الفودو :

● ديانة وثنية تشيع في غرب افريقيا خاصة في دولة بنّين ..

- اسمها مشتق من كلمة **فودون** باللغة المحلية و تعني الروح ..
- الاله الاكبر فيها هو **بون ديون** و تخدمه أرواح الأجداد التي تعاقب و تثيب البشر حسب أفعالهم ..
- لرجال الدين مكانة مرموقة فيها و يطلق عليهم لقب الأب أو الأم ..
- يقوم الكهنة باستحضار أرواح الأجداد عبر طقوس خاصة يغلب عليها إضرام النار و الرقص و الغناء و قرع الطبول ..
- الصورة الشائعة لها في أذهان الناس هي غرز دبابيس في دمى من القش بغية ايذاء الاخرين ، لكنها ممارسة لا أساس لها في الفودو ، بل تقتصر الغايات فيها على النجاح في الدراسة و العمل و الزواج ..

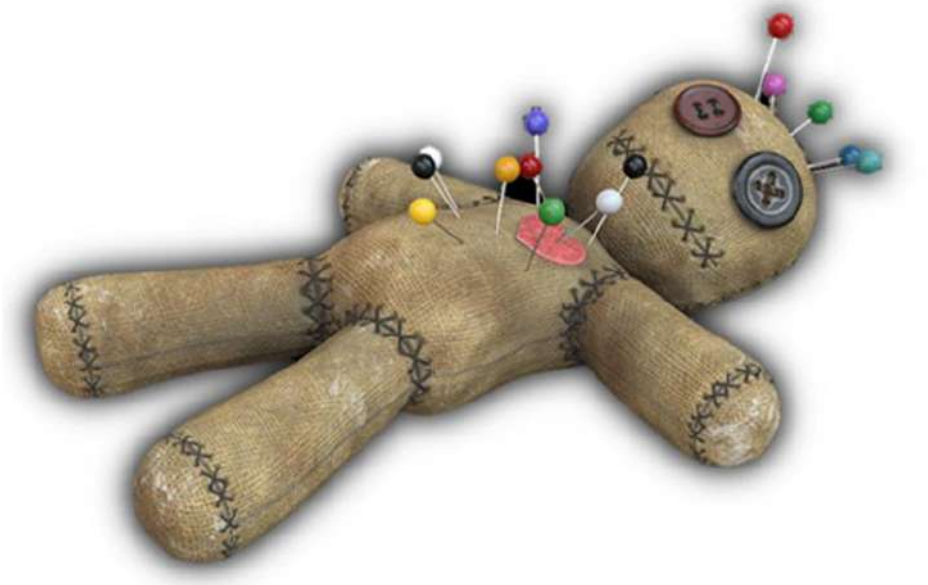

هذه باختصار أهم ديانات الكوكب غير السماوية في مجموعة نقاط رئيسية .. و لا شك عزيزي القارئ أنها وسعت دائرة ثقافتك و اطلاعك على معتقدات الآخرين .. و قبل أن نطوي صفحة مغالطتنا هذه لابد من الإشارة إلى نقطة أخيرة و هي أن للأديان على كوكب الأرض **4** فروع رئيسية فقط لا غير :

❁ **الأديان السماوية** الثلاثة (يهودية & مسيحية & إسلامية) ..

❁ **الأديان الأرضية** التي تناولناها في هذه المغالطة..

❁ **الأساطير القديمة** كالإغريقية و الفرعونية و النوردية و أساطير الهنود الحمر و غيرها .. مع آلهتها المتعددة ..

❁ **الأديان البشرية الحديثة** الغريبة و التي تناولناها من قبل في مغالطة مستقلة كالرائيلية و السينتولوجيا و غيرهما ..

يقول البارئ في الذكر الحكيم :

(و لقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك و منهم من لم نقصص عليك)

و في هذه الآية إشارة صريحة إلى وجود أنبياء كثر لم يذكرهم القرآن و يجهلهم البشر ، و لا ندري لعل بوذا أو كونفوشيوس أو زارادشت و غيرهم .. كانوا أنبياء بالفعل بوحي سماوي غير مباشر .. فهم بالمحصّلة دعوا إلى صلاح الأفكار و الاقوال و الأعمال ، و ما الدين غير ذلك ؟! و أظن من وجهة نظر شخصية أن الله لن يقبل بوجود ملايين من الأتباع لهم عبر التاريخ و هم على ضلال ، و الله أعلم بالمحصلة ..

الأديان الحديثة العجيبة

- **سأهدي الناس إلى ديني بالقوة ..**
- **سأدمر أركان ديانة البعض لأنها غير منطقية ..**
- **سأقتل البعض لأنهم يعبدون غير الله ..**
-
-

مقولات كثيرة يرددها بعض الناس بثقة عمياء زائفة و كأن الله منحهم هذه الشرعية أو كلفهم بهذه المهام ، في حين يقول بنفسه بشكل صريح في الكتب السماوية ما يناقض ذلك حرفياً، لتكون هذه العبارات بمجملها من أكبر المغالطات في الحياة ، و سنحاول خلال الصفحات التالية أن نجيب بالأدلة العلمية و الدينية الصريحة التي لا يشوبها شك أو تأويل عن الأسئلة التالية التي تتمحور حول هذه الفكرة الهامة و الحساسة :

1. **ما هو الإيمان بالأساس ؟ ..**
2. **هل غير المسلم أو حتى من لا يؤمن بدين سماوي كافر و زنديق ؟ ..**
3. **أيهما أفضل ، شخص متدين مؤذٍ أم شخص غير متدين مسالم ؟! ..**
4. **هل الدين قرين التطور و العكس صحيح ؟ ..**
5. **هل أغلب البشر حول العالم موحدون ؟ ..**
6. **كيف أروج لديني أو أهدي الناس بشكل شرعي ؟**

فهيا بنا عزيزي القارئ نتجول في فضاء السموات الرحبة و عالم الأديان الشيق قليلاً في محاولة متواضعة منا للإجابة على كوكبة الأسئلة السابقة ..

أولاً ، ما هو الإيمان بالأساس ؟

ننطلق في الإجابة على هذا السؤال الهام من سؤال آخر هام للغاية بدوره و هو :

(ما هي ديانة أول الأنبياء و أبي البشر آدم ؟)

آدم لم يكن يصلي خمس صلوات يومياً أو يصوم أو يحج أو يزكي غيره و لا أحد غيره بالأساس .. فهل آدم كافر ؟

الجواب البديهي على هذا السؤال هو : (**بالطبع لا**)

إذاً ما الذي أراده الله من آدم و حواء بالتالي كل البشر الذين أتوا من نسلهما ؟

ببساطة الله طالب آدم و حواء بشيئين لا ثالث لهما ، **و لم و لا و لن** يطالب أي إنسان بغيرهما ، لأنهما بالأساس المطلب الوحيد من البشر في الكون الأكبر بعد الموت و انتهاء الكون الأصغر أما العبادات و الطقوس فوسيلة لاكتسابهما، و هذان الشيئان هما :

❁ **تقدير قيمة النعم و عدم الإفراط بها عند بلوغ درجة الإشباع منها** .. و هذا هو بالضبط سبب خروج آدم و حواء من الجنة عندما أشبعا من نعمها المهولة فعصيا أمر الله بتكبر و غرور و فرطا بكل تلك النعم..

❁ **الأخلاق الرفيعة** التي تهذب نفس الإنسان فيحسن التعامل مع نفسه أولاً ثم مع الآخرين ثانياً ، ثم مع خالقه أخيراً ..

فأي إيمان يمنحك هذين الشيئين هو إيمان حقيقي ، وأي إيمان يسلبهما منك ليس بدين مهما بلغ التزامك به و بفرائضه و طقوسه .. **لذا لا تتعجب عزيزي القارئ أن تجد ملحداً مؤمناً و متديناً كافراً** .. فكل الأديان السماوية و فرائضها و طقوسها هي بغاية وحيدة فقط لا غير و هي تدريب الإنسان على التحلي بهاتين الخصلتين ليكون مؤمناً بحق بالمحصلة .. فإن لم يساعده دينه على ذلك فهناك مشكلة في إيمانه و فهمه لهذا الدين ..

ثانياً ، هل غير المسلم أو حتى من لا يؤمن بدين سماوي كافر و زنديق ؟

نعود إلى نفس الفكرة السابقة ، **هل جميع الأنبياء الذين سبقوا محمداً كانوا كفرة ، كإدريس و نوح و هود و صالح ....** هم لم ينطقوا الشهادتين و لم يلتزموا بفرائض الإسلام ، إذاً هم بحسب تصنيف البعض غير مسلمين ، إذاً هم كفرة ؟

بالطبع لا .. فالإيمان ليس فرائض و طقوس ، الدين معاملة لا غير ، و الإيمان هو فن التعامل مع الذات و مع الآخرين لا أكثر ..

حتى أننا إذا أردنا أن نصف أي إنسان مهذب في المجتمع حتى و إن كان ملحداً نقول عنه (فلان آدمي) ، أي أنه كالنبي آدم الخلوق الذي تعلم من الخطيئة الأصلية في الجنة و هي الغرور فتواضع و قدر نعم الله ، و ليس لأن آدم مسلم أو مسيحي أو يهودي أو سني أو شيعي أو بوذي أو هندوسي أو أي شيء آخر ..و كما يقول **سقراط** :

(**تحدث حتى أراك**)

أي أنّ ما تحمله في عقلك و قلبك هو ما يحدد قيمتك بالنسبة لي و ليس تدينك أو إيمانك ..

ثالثاً ، أيهما أفضل ، شخص متدين مؤذٍ أم شخص غير متدين مسالم ؟!

الجواب الفطري البديهي على هذا السؤال هو أن الإنسان المسالم أفضل و بمسافات ضوئية **بل إن كلمة إسلام اشتقت بالأساس من السلام و عدم الأذى و العنف** ، فماذا يهمني في حياتي اليومية من ديانة فلان أو علان ، ما يهمني فقط هو طريقة تعامله معي ، ألا يغشني ، ألا يؤذيني بالقول أو الفعل ، ألا يعتدي على حقوقي و أرزاقي .. فإن كان هو الشيطان بذاته فمرحباً به ، و إن فعل العكس فبئس الإنسان ولو كان شيخ الشيوخ .. و هذا ما عبر عنه الأديب الشهير **وليام شكسبير** بإبداع بمقولته الأيقونية :

(**لا يهمني من تكون ، أنا معك بما أراه منك ، لا بما أخبروني عنك**)

فأخلاقك و طبيعة أفعالك هي ما يحدد طريق تعاملي معك و مكانتك في قلبي ، و ليس دينك أو طائفتك أو شعاراتك الرنانة ..

رابعاً ، هل الدين قرين التطور و العكس صحيح ؟

من أجمل العبارات الأيقونية في التاريخ مقولة :

(الدين لله ، و الوطن للجميع)

بمعنى أن علاقتك بربك هي شأنك الخاص ، أما في الوطن فعليك الامتثال و الالتزام بالقوانين و أن تحاسب إن خالفتها أياً كانت ديانتك و بدون شفاعة أو واسطة من أحد ، و لعل أكبر مثال صارخ عن هذه الفكرة هي الدول الأوروبية الغربية التي عانت من حربين عالميتين تدمرت خلالها المدن بالكامل و مات ملايين البشر ، لتعود هذه الدول فتبني نفسها من تحت الأنقاض معتنقةً الشعار السابق و لتنفذه عملياً ، فلم يعد للكنيسة أو للدين أي سلطة على البلاد أو الشعب ، بل القانون و فقط القانون من يفرض كلمته على الجميع بمن فيهم رجال الدين .. ولولا أن فصلت هذه الدول سلطة الدين عن سلطة الدولة و القانون لما قامت لها قائمة أبداً و لأعاد التاريخ نفسه بشكل متكرر .. و مما يثبت أن الدين ليس شرطاً لتطور الدول و رقيها نجد اليابان أيضاً فهي من أكثر دول العالم تطوراً لكنها دولة غير دينية بأكثريتها الساحقة ، لكن القانون قال كلمته و انصاع لها الشعب فتطورت البلاد .. أما إن أردنا الحديث عن دول أخرى ذات سلطة دينية سماوية أو أرضية على شعوبها و ما تزال على أولى درجات سلم التطور فحدث و لا حرج .. لنعود إلى الفكرة الأساس ، علاقتك بربك هي شأنك الخاص ، أما علاقتك بالآخرين و بالوطن هي شأن القانون الذي يرسم حدود هذه العلاقات بما يحفظ حقوق الأفراد و مصلحة الوطن ككل ..

خامساً ، هل أغلب البشر حول العالم موحدون ؟

بالطبع لا ، فنسبة المؤمنين حول العلم قليلة و نسبة المتدينين أقل بكثير ، فالغالبية العظمى حول العالم غير مؤمنة أو تعتنق أديان

غير سماوية كحال البوذية أو الهندوسية أو الفودو مثلاً أو حتى أديان غريبة و غير منطقية يعتنقها الملايين بحرية كونهم لا يؤذون أحداً أو يفرضون دينهم على أحد .. و من هذه الأديان الغريبة نذكر التالي كونها جوهر الفصل الحالي :

① **عبادة الأمير فيليب** : ديانة منتشرة في **جزيرة فانواتو** جنوب المحيط الهادئ و تؤمن بإلوهية **الأمير فيليب** زوج ملكة بريطانية **إليزابيث الثانية** و عدد أتباعها **5000** شخص ..

② **الرائيلية** : أسسها الفرنسي **كلود فوريلون** عام **1974**، وهي ثاني أكبر ديانة مرتبطة بالكائنات الفضائية بعد السيناتولوجيا في العالم .. و تؤمن بوجود حياة خارج كوكب الأرض تتفاعل مع البشر سرّاً غالباً و جهاراً أحياناً..

③ **بانا ويف** : حركة دينية يابانية، أسستها سيدة تُسمى **يوكو تشينو** عام **1977** في طوكيو .. و هي خليط من المسيحية و البوذية و عدد من المذاهب الأخرى ، و تهدف إلى توعية الناس بخطر الموجات الكهرومغناطيسية و التي هي بنظر مؤسستها، المسؤولة عن التغير المناخي و التدهور العام للبيئة.. لذلك يرتدي أتباعها ملابس بيضاء واقية من انبعاثات الموجات

الكهرومغناطيسية و أقنعة بيضاء و يستخدمون كذلك دراجات بيضاء.. و يقولون أن لديهم أدلة عن قرب يوم القيامة ، ولهذه الديانة **1200** من الأتباع ..

④ **الجيدية** : حركة دينية من وحي سلسلة أفلام حرب النجوم، تدّعي امتلاك القوة لحماية الكون من الصراعات والحروب.. و يرتدي الجيديون الملابس المقنّعة، والسيوف الوهمية و يطلقون على أنفسهم الرهبان أو الفرسان، ويدّعون أن بإمكانهم استخدام القوة من أجل رفاهية البشر.. و هذه الديانة هي مزيج من البوذية والتاوية إلى جانب بعض معتقدات العصور الوسطى و عدد أتباعها اليوم حوالي **200** ألف شخص

⑤ **العلوم السعيدة** : تأسست هذه الحركة الدينية الروحانية عام **1986** في اليابان على يد **رويهو أوكاوا** ، والهدف من هذه الديانة نشر السعادة بين البشر.. و يعتقد أوكاوا أنه تناسخ من الإله **إل كانتير** الإله المنقذ، الذي يمارس السلطة العليا والسيطرة الكاملة على العالم. ويعتقد هذا الدين أن **جبرائيل** سيزور **بانكوك** خلال الخمسين عاماً القادمة.. كما يعتقد أن الكائنات الغريبة ستعيش في الأرض خلال القرون الأربعة القادمة ..

⑥ **كنيسة وحش السباغيتي الطائر**: دين هزلي يستند إلى خطاب مفتوح أرسله **بوبي هندرسون** إلى **مجلس مدرسة كانساس**، طالب فيه بتدريس **نظرية وحش السباغيتي الطائر** إلى جنب نظريات التطور من باب الاستهزاء.. الغريب في الأمر أنّ هذا الدين معترف به رسمياً في هولندا ونيوزيلندا !!..

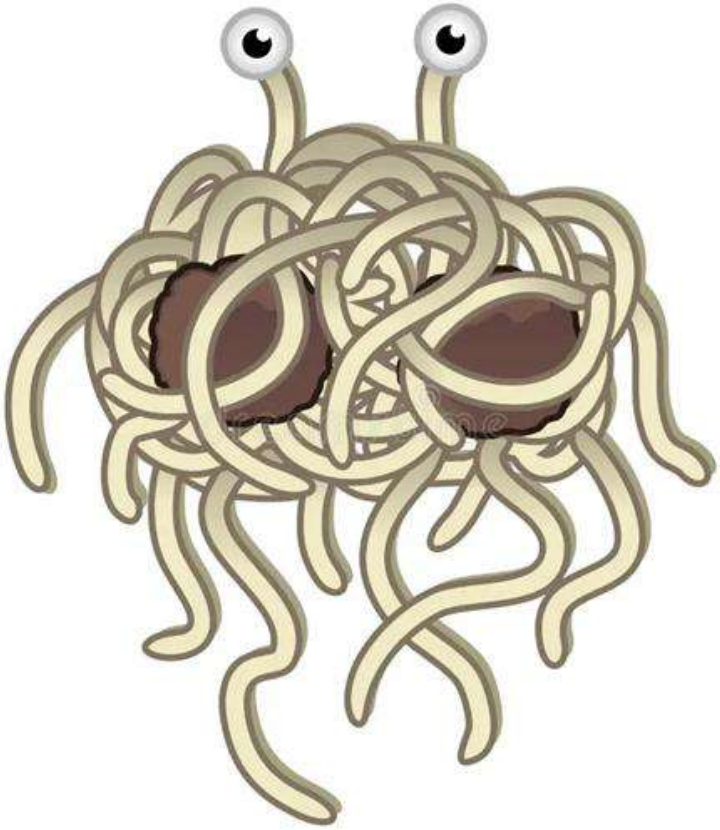

فإن كان البعض يعتقد أن بعض الأديان السماوية و طوائفها كافرة تستوجب القتل ، فليقارنها بهذه الأديان ليرى بنفسه كم هي أديان و طوائف موحدة و مسالمة ، إذ تؤمن بالإله الخالق و بأنبيائه و ببركة القديسين ، و بالطبع هذا لا يقلل من حق و حرية أتباع الديانات التي ذكرناها ، طالما أنهم كما قلنا لا يفرضونها بالقوة على أحد أو يحتقرون من يخالفهم المعتقد و يهينونه ، بل ربما يهدرون دمه على نحوٍ يهتز له عرش السماء ، بمنح أنفسهم مزايا يختص بها الخالق لوحده **و هذا بحد ذاته إشراك من زاوية أخرى !!**

سادساً ، كيف أروج لديني أو أهدي الناس بشكل شرعي ؟

القرآن الكريم فصّل لنا الطريقة المثلى للترويج لعيقدتنا من باب الهداية لا التوسع و بسط النفوذ و الهيمنة و استغلال الآخرين ، فيقول البارئ :

(ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة)

و هذا ما جسده نبي الرحمة حرفياً في طريقة تبشيره بدينه الجديد ، فهو لم يجبر أحداً على اعتناقه ، كما أنه لم يخض أية حرب بغية نشره بل كانت جلّ حروبه دفاعية ليحمي بها الإسلام و المسلمين من الأذى و التنمر ، ليتحد القول مع الفعل في أسمى و أنبل الأخلاق التي عرفتها البشرية .. أما من يروج لشعارات أخرى مناقضة تماماً لهذه الفلسفة من قبيل (أسلم تسلم) أو غيرها و التي تعد الناس بالقتل إن لم يصبحوا مسلمين ، فهؤلاء هم أبعد الناس

عن الإسلام و نبي الرحمة ، فلا يعرفون معنى للسلام و لا للرحمة ..

يقول **بوذا** :

(اعبد الحجر إن شئت ، لكن لا ترجمني به)

و هذه العبارة العميقة تلخص كل شيء .. آمن بما تشاء ، لكن لا تتهجم على غيرك و تهدر كرامته و تهن عقيدته من أجل تعزيز مكانة عقيدتك ..

الميثولوجيا

منذ أن بدأ الإنسان يتلمس طريقه في ظلال هذا الكون الرحب، شعر بحاجة غريبة إلى السرد، إلى خلق عالم يمزج بين الملموس والخيال، بين ما يراه وما يتوق إلى فهمه. هنا ولدت **الميثولوجيا**، تلك اللوحة السحرية التي جمعت بين الخيال والفلسفة، بين الروح والطبيعة، لتصبح مرآة النفس البشرية وعينها الثاقبة على العالم. لم تكن مجرد حكايات تروى، بل كانت محاولات فطرية لفهم المجهول، لتفسير النجوم، الرياح، والموت، وللتواصل مع قوة أكبر من الإنسان ذاته، قوة تسكن كل حجر وكل نهر وكل شعلة نار.

الإنسان ابتدع الميثولوجيا لأنه وجد نفسه عارياً أمام أسرار الكون، يبحث عن معنى في دائرة الحياة والموت، عن سبب لوجوده في هذا المسرح العظيم. في كل أسطورة، نجد انعكاساً لشغف الإنسان بالبحث عن ذاته، عن الأخلاق، عن الحب والخيانة، عن الخير والشر، وعن التوازن بين الفناء والخلود. كانت الميثولوجيا مرشداً، وأحياناً صديقاً صامتاً، يرشد الإنسان إلى فهم نفسه قبل فهم العالم، ويعلمه أن القوة العظمى ليست في التحكم بالطبيعة فقط، بل في القدرة على قراءة رموزها وفهم دروسها العميقة.

لقد تركت الميثولوجيا بصماتها على حياة البشر بطرق لا يمكن حصرها. فقد شكلت عقولهم، وأثرت على معتقداتهم، وألهمت فنونهم وشعائرهم. في حضارات **بابل ومصر القديمة**، كانت الأساطير تقود الطقوس الدينية، وتمنح الملك الشرعية، وتفسر الظواهر الطبيعية. أما في **اليونان**، فقد اكتسبت الأساطير بعداً فلسفياً، حينما أصبح زيوس أوديسيوس وأفروديت رموزاً لصراع الإنسان الداخلي، بين الرغبة والشرف، بين الطموح والخوف. ومن خلال تلك القصص، تعلم الإنسان أن كل تجربة في الحياة تحمل عبرة، وكل انتصار أو هزيمة جزء من نسيج أكبر، نسيج الحياة نفسها.

تنوع الميثولوجيا أدهش العالم، فهي زاخرة بالقصص التي تحمل

في طياتها الجمال والعبر. خذ مثلًا أسطورة الإلهة الإسكندنافية **فريا**، التي تعكس الصراع بين الحب والحرب، في الميثولوجيا الإغريقية أيضاً، يعلّمنا **هيراكليس** أن الإرادة تصنع المستحيل، وأن البطولات الحقيقية تقاس بالصبر على المصاعب لا بالقوة وحدها. وفي الميثولوجيا المصرية، تعلمنا رحلة **أوزيريس** أن الموت ليس نهاية، بل بوابة للخلود، وأن الحب والإخلاص قادران على انتزاع الحياة من بين أنياب الفوضى .. أما في الشرق، فنجد **أساطير الهندوسية** تربط بين الآلهة والكون، حيث كل إله يرمز إلى قوة كونية أو قيمة إنسانية، فتتحول الأسطورة إلى خريطة للحياة الروحية. وكل أسطورة، مهما اختلفت أصولها، تحمل رسالة واحدة : الإنسان يسعى إلى التوازن، إلى فهم ذاته، وإلى إدراك أن الحياة أكثر من مجرد عيش يومي، إنها رحلة نحو الحكمة والمعرفة.

إن الميثولوجيا، إذن، ليست مجرد قصص تُحكى، بل هي لغة الإنسان السرمدية مع العالم، حوار دائم بين الحاضر والماضي، بين الملموس والرمزي. هي اختبار مستمر لفهم الإنسان لذاته

وللكون، وسحره الأبدي يكمن في قدرته على أن يكون مرآة للروح البشرية، مرآة تتغير بتغير العصور، لكنها تظل وفية لمبدأ أساسي : أنّ الإنسان، في كل زمان ومكان، يحتاج إلى أسطورة ليعيش، وإلى قصة لتفسر له الكون وتغذي روحه.

أولاً ، الميثولوجيا الإغريقة :

حين يتأمل المرء بدايات الإنسان الأولى، يلمح خوفه من الليل الطويل، وهيبته أمام البحر الهادر، ورجاءه في الشمس التي تعود كل صباح. من هذا القلق البدئي ولدت الحكاية، ثم اتسعت حتى غدت أسطورة، وفي بلاد الإغريق القديمة تحولت إلى نسق متكامل من الميثولوجيا، يفسر الكون كما لو كان مرآة لأهواء البشر و ضعفهم وآمالهم.

لم يكن الإغريق ينظرون إلى العالم كفضاء جامد، بل كساحة تموج بآلهة تتصارع، تعشق، وتغضب، تماماً كما يفعل البشر. الأسطورة الإغريقية لم تنشأ بقرار مدون، بل تفتحت مثل زهرة برية على ضفاف بحر إيجة؛ جمعت بين الذاكرة الشفهية، والأناشيد التي يرددها الشعراء المتجولون، وبين الحاجة لتهذيب الفوضى الكونية في صورة قصصية. ومن هنا غدت الميثولوجيا خزاناً للمعنى، ومرآة للخيال الجمعي الذي نسج صورته عن الخلق، القدر، و الموت.

يبدأ السرد الإغريقي **بكاوس** ؛ الفراغ الأول الذي منه خرجت **غايا** ـ الأم الأرض ـ ومعها **إيروس** ـ قوة الحب التي تدفع الموجودات للتكاثر ـ ومن غايا وُلد **أورانوس** ـ السماء ـ الذي صار زوجها وخصمها معاً. ومن صراعهما تفتحت أولى الملاحم : فقد أنجبت غايا العمالقة و التيتان، ومنهم **كرونوس** الذي انقلب على أبيه وأطاح به ليصير سيداً. لكن كرونوس نفسه ابتلع أبناءه خشية أن يثوروا عليه، حتى أنقذت **ريا** طفلها الأصغر **زيوس** ، الذي سيكبر

ليقود حرباً عظيمة ضد أبيه ويحرر إخوته، معلناً بداية عهد الآلهة الأولمبية.

زيوس، سيد السماء والرعد، جلس على عرش الأولمب محاطاً بإخوته وآلهة شكّلت بانوراما واسعة : **هيرا**، ربة الزواج والغيرة، **بوسيدون** سيد البحار، **ديميتر** ربة الخصب والزرع، **وأثينا**، ابنة الحكمة التي خرجت مكتملة الدروع من رأس أبيها. هناك أيضاً **أفروديت**، ربة الجمال، التي قيل إنها ولدت من زبد البحر، و **آريس**، إله الحرب، و **ديونيسيوس** سيد الخمرة والجنون المقدس. هؤلاء لم يكونوا مجرد رموز جامدة، بل شخصيات نابضة بالتناقض، تعكس طبائع البشر: قوتهم وضعفهم، عشقهم وغضبهم، وفوضاهم العاطفية.

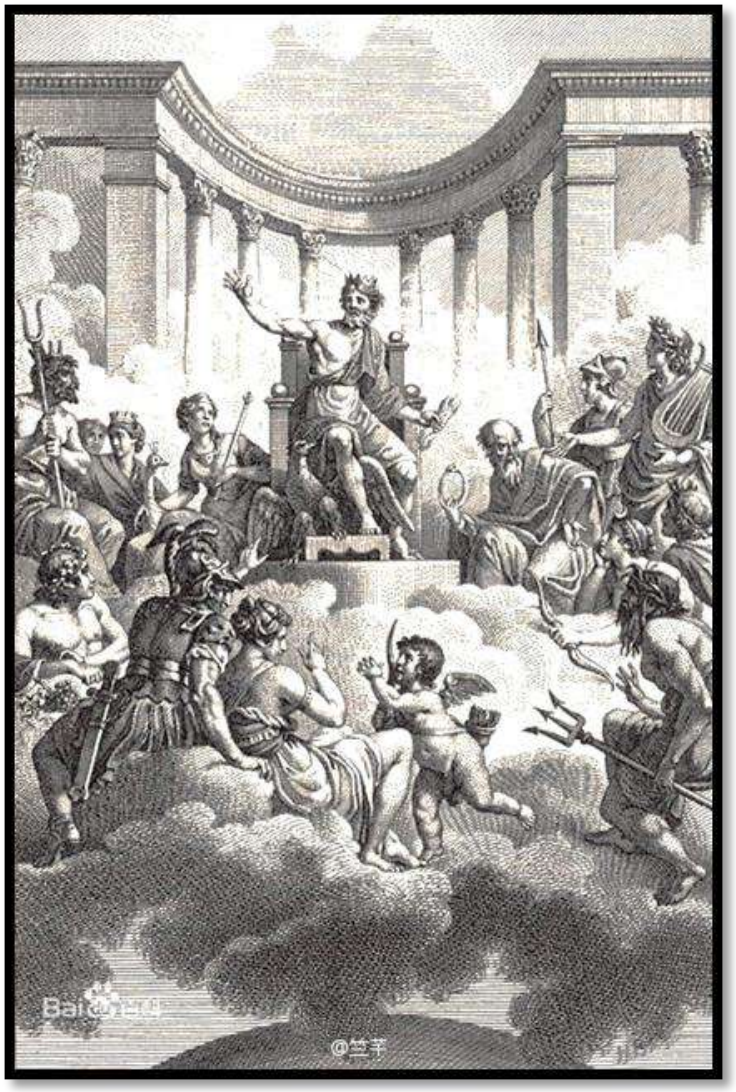

إن كانت الآلهة فوق البشر، فإن الأبطال كانوا جسر الوصل بينهما : أنصاف آلهة، أو بشرٌ حازوا بركات خاصة. أبطال الميثولوجيا هم الذين جسّدوا الحلم الإغريقي بالقوة والشرف، وإن دفعوا أثماناً باهظة.

أشهر هؤلاء **هرقل** ؛ الذي حمل على كتفيه اثني عشر عملاً مستحيلاً، فصار رمزاً للإرادة الخارقة. وهناك **أخيل** ، الفارس الذي لا يُقهر في حرب طروادة، إلا أن عقبه الصغير ظل ثغرة القدر التي قادته إلى الموت. و **أوديسيوس** ، بطل الحيلة والعقل، الذي تاه عشرين عاماً في بحار الغربة قبل أن يعود إلى عرشه، بعد أن واجه الغيلان والبحارة الساحرات. أما **برسيوس** ، فقد واجه ميدوسا برأسها المفزع ذي الشعر الأفعواني، وانتصر بمرآة درعه قبل أن يجلب رأسها كغنيمة. هؤلاء الأبطال، وإن اختلفت مصائرهم، ظلوا تجسيداً لعطش الإنسان للإجادة، ولرحلته الأبدية في مواجهة القدر.

ما يميز الميثولوجيا الإغريقية هو تلك الكائنات العجيبة التي تملأ

فضاءها. فهي ليست مجرد وحوش، بل رموز لأهوال النفس والطبيعة. هناك **العمالقة** الذين واجهوا الآلهة في معركة أسطورية، و **الهيدرا** التنين ذي الرؤوس المتعددة التي كلما قطع هرقل رأساً لها نبت آخر مكانه، في إشارة إلى شراسة الشر واستمراريته.

وتطل علينا **الغيلان** مثل **المينوتور**، ذلك المخلوق نصفه ثور ونصفه إنسان، الساكن في متاهة كريت، والذي لم يهزمه سوى الشاب ثيسيوس بمساعدة الخيط الذهبي. وهناك **السيرينات** ، العرائس البحريات اللواتي يجذبن البحارة بأصوات فاتنة حتى يهلكوا على الصخور. أما **السايكلوب** ، العمالقة ذوو العين الواحدة، فقد كانوا رموزاً للقوة العمياء التي لا يردعها عقل.

هذه الكائنات ليست محض فانتازيا، بل صور رمزية للتحديات التي يواجهها الإنسان : الخوف من المجهول، غواية الشهوة، طغيان القوة، وفوضى الرغبات.

ثانياً ، الميثولوجيا الفرعونية :

في البدء لم يكن سوى صمتٍ عميق يغمر الوجود، وظلامٍ كثيف يلف الأفق. ومن هذا السديم، ولد **نون** ؛ المحيط الأزلي، الذي يحمل في أعماقه بذور الخلق. ومنه خرج التلّ البدئي، أول بقعة يابسة تطل من بين المياه، إيذاناً بميلاد الكون. هناك، فوق هذا التل، بزغ **رع** ـ إله الشمس ـ ليشق الظلام بضوئه، وينفخ في العالم

الحياة.

لم تنشأ الأسطورة الفرعونية فجأة، بل تفتحت على ضفاف النيل مثل زهرة لوتس بيضاء، تحمل في أوراقها قصة الكون والإنسان. كانت الأساطير وسيلة المصري القديم لفهم سرّ الفيضان، دورات الليل والنهار، والموت والبعث. لم تكن مجرد قصص للتسلية، بل طقوس روحية تحيطها الكهنة بالقداسة، وتنسجها الأجيال حول سرّ الخلود الذي ظل أعظم ما يشغل الفكر المصري.

عالم الآلهة الفرعونية كان واسعاً متشعباً، يمزج بين قوى الطبيعة وصور الإنسان والحيوان. في البداية ظهر رع سيد الشمس والخلق، الذي سافر كل يوم عبر السماء في قارب ذهبي، ثم ينزل مع الغروب إلى العالم السفلي ليحارب قوى الظلام قبل أن يولد من جديد فجراً. ومن رع جاء **شو** إله الهواء، و **تفنوت** ربة الرطوبة، وأنجبا **جب** إله الأرض، و **نوت** ربة السماء، ومن اتحادهما وُلدت

أهم الآلهة : **أوزيريس** ، **إيزيس** ، **ست** ، و **نفتيس** .

أوزيريس كان رمز الخصب والحياة، و **إيزيس** ربة السحر والأمومة، أما **ست** فقد جسّد العنف والعاصفة والفوضى، فيما **نفتيس** كانت ظلّاً حنوناً في عالم الموتى. لم تكن هذه الشخصيات آلهة مجردة، بل صوراً للإنسان في قوته وضعفه، في عشقه وغدره، وفي صراعه الأبدي بين النظام والفوضى.

من بين الأساطير الفرعونية، يظل أوزيريس البطل الأبرز. فقد غدر به أخوه ست وقتله، ثم مزق جسده وبعثره في أرجاء مصر. لكن إيزيس، بحبها وإخلاصها، جمعت أشلاءه، وأعادت له الحياة بسحرها، لينجبا **حورس** ؛ الصقر الذهبي الذي سيقف لاحقاً في مواجهة ست، ويخوض معه صراعاً أسطورياً يرمز إلى انتصار الحق على الباطل، والنظام على الفوضى.

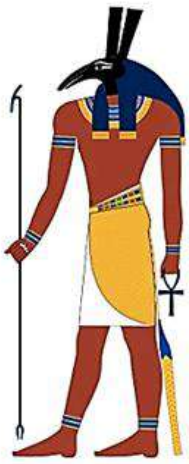

حورس، بعينه التي أصابها ست ثم شُفيت، صار رمزاً للحماية والرؤية النافذة، وعينه ـ العين المقدسة ـ تحولت إلى أيقونة للقدرة على طرد الشر وجلب البركة.

أما رع، فقد كان بدوره بطلاً في رحلته الأبدية عبر السماء، إذ يقاتل كل ليلة الأفعى الكونية **أبوب** ، ليضمن شروق الشمس من جديد. في هذه الملاحم تجلّت فكرة البطولة كقيمة روحية، ترتبط بالصمود في وجه الظلام، أكثر مما ترتبط بالقوة الجسدية وحدها.

الميثولوجيا الفرعونية امتلأت بكائنات عجيبة، بعضها حامٍ وبعضها مرعب. على رأسها **أبوب** ؛ الأفعى العملاقة التي تجسد الفوضى والعدم، وتهاجم مركب رع كل ليلة. وهناك **آمموت** ؛ الكائن الهجين برأس تمساح، وجسد أسد، ومؤخرة فرس نهر، الذي يلتهم قلوب الأشرار في محكمة الموتى، ليمنعهم من نيل الخلود.

ومن الكائنات أيضاً **البا** و **الكا** ، وهما روحا الإنسان بعد الموت؛ الأولى طائر برأس بشري يرمز لروح الفرد، والثانية طاقة الحياة التي تظل بحاجة إلى القرابين لتستمر. كما نجد كائنات الحماية مثل **توارِت** ، ربة الحوامل بشكل فرس النهر، و **بس** ، القزم المرح الذي يطرد الأرواح الشريرة بوجهه القبيح.

هذه الكائنات لم تكن مجرد رموز أسطورية، بل انعكاس لرؤية المصري القديم للكون كمعركة مستمرة بين النظام والخراب، وبين الرحمة والعدالة من جهة، والرعب والفوضى من جهة أخرى.

الميثولوجيا الفرعونية لم تكن مجرد مخيلة، بل فلسفة وجودية عاشها المصري القديم بكل وجدانه. في قصصها عن الخلق، أراد أن يفهم سر البداية. في ملحمة أوزيريس وحورس، سعى لترسيخ قيم العدالة والنظام. وفي كائناتها الرمزية، عبّر عن مخاوفه من العدم ورغبته في الحماية.

لقد كانت هذه الأساطير بمثابة لغة سرية للنيل وهو يفيض، وللشمس وهي تغرب وتعود، وللموت وهو يفتح أبواب العالم الآخر. إنها مرآة الروح المصرية، التي آمنت أن الحياة ليست نهاية، بل رحلة نحو الخلود. وما تزال هذه الميثولوجيا، بألوانها الزاهية وعوالمها المدهشة، شاهداً على أعمق ما حلم به الإنسان : أن يهزم الموت بالذاكرة، وأن يخلّد نفسه بالأسطورة.

ثالثاً ، الميثولوجيا السومرية :

على ضفاف دجلة والفرات، حيث أول مدينة خطّت على الطين، وُلدت الأسطورة. لم يكن للسومري القديم أن يرى في فيض النهر مجرد ماءٍ يتدفق، بل روحاً سماوية تمنح الحياة وتأخذها. في عتمة الليل، حين يعلو صمت السهول، كان يسمع همس الآلهة في الريح، فيسجّلها على ألواح الطين لتبقى أبدية.

الميثولوجيا السومرية نشأت من قلب العلاقة بين الإنسان والطبيعة. لم يكن الكون لديهم فراغاً بارداً، بل مسرحاً لآلهة تتصارع وتتصالح، وتتحكم في المطر والخصب والموت. من العمق البدئي المعروف بثنائية **أبزو** و **تيامات** ، تجسدت أولى الصور الكونية : الماء العذب والماء المالح، ذكراً وأنثى، أصل الوجود وأول جدل بين التناسل والصراع. ومن اتحادهما وُلدت سلالة الآلهة التي ستشكّل مسرح الأسطورة.

في البدء، كان **أن** سيد السماء، رمز العلو والقداسة. ومن بعده جاء

كي ، الأرض الأم.

اتحاد السماء والأرض أنجب **إنليل** ، إله الهواء والقدر، الذي غدا سيداً على الكون. كان إنليل هو من فصل السماء عن الأرض، ليصنع للعالم حدوداً واضحة، ويمنح للبشر موطناً.

ثم ظهر **إنكي** ، إله الحكمة والمياه العميقة، الذي أحبّ أن يمنح

الإنسان أسرار المعرفة والفنون. وهو الذي يرمز إلى العمق الخفي، وإلى دهاء العقل وقدرته على صناعة المعجزات. ومن بين الآلهة أيضاً برزت **إنانا** ، ربة الحب والحرب معاً، جمالها فتنة وسلطتها غضب. كانت أكثر الآلهة قرباً من البشر، وأكثرهم تناقضاً : تمنح العشق والخصب، لكنها أيضاً تحرّك الحروب وتنشر الدمار.

في أسطورة الخلق، نرى كيف تحوّل **أبزو** إلى ضحية للآلهة الصغار حين أزعجوه بضجيجهم، فقتلوه. أما **تيامات** ، أم المياه المالحة، فقد ثارت غاضبة، وخلقت جيشاً من الكائنات الوحشية لتدمّرهم. عندها ظهر **مردوخ** ـ الذي ورث لاحقاً مكانة عليا في بابل ـ ليقاتلها بريح عاصفة، ويشق جسدها نصفين : نصفه سماء، ونصفه أرض. ومن دمها صُنعت الأنهار، ومن جسدها وُلد الكون الجديد.

الميثولوجيا السومرية لم تكتف بآلهة بعيدة، بل قدّمت أبطالاً يقفون على الحدود بين الإنسان والخلود. وأشهرهم **جلجامش** ، ملك **أوروك** الأسطوري، الذي حمل نصف طبيعة إلهية ونصف طبيعة بشرية. ملحمته أقدم نص أدبي في التاريخ، وفيها بحث عن سرّ الحياة الأبدية بعد أن واجه موت صديقه الحبيب **إنكيدو**.

جلجامش عبر الغابات والبحار، وقاتل الوحوش، وواجه

الطوفان العظيم حين التقى **بأوتنابشتم** ، الناجي الخالد الذي منحه الآلهة سر النجاة. لكن جلجامش، رغم مغامرته العظيمة، عاد إلى مدينته خالي اليدين من الخلود، ليكتشف أن إرثه الحقيقي ليس في جسده الفاني، بل في ما يبنيه من حضارة، وما يتركه من أثر.

أما **إنكيدو** ، ذلك الكائن الذي صنعته الآلهة من الطين ليكون نداً لجلجامش، فقد تحوّل من وحش بريّ يعيش بين الحيوانات، إلى إنسان كامل بعد أن عرف الحب والخبز والشراب. كان موته الشرارة التي دفعت جلجامش إلى رحلة البحث عن سرّ الحياة، ليصبح بدوره بطلاً في الأسطورة، رمزاً لتحول الإنسان من الطبيعة إلى الحضارة.

الميثولوجيا السومرية زاخرة بكائنات غريبة تحمل رموزاً عميقة. أشهرها **همبابا** ، حارس غابة الأرز، بوجهه المخيف الذي تراه الأساطير أقرب إلى الرعب الكوني. جلجامش و إنكيدو قاتلاه معاً لينتزعا شهرة ومجداً، وقد جسّد هُمبابا قوة الطبيعة التي لا تُقهر.

وهناك **الثور السماوي** ، الذي أرسلته إنانا عقاباً لجلجامش حين رفض حبها. نزل الثور من السماء ليعيث خراباً، لكن جلجامش

وإنكيدو قتلاه، فغضبت الآلهة وأعلنت على إثرها موت إنكيدو.

ومن الكائنات أيضاً **تيامات** في صورتها الوحشية، إذ أنجبت جيشاً من التنانين، والأفاعي ذات الأجنحة، والرجال العقارب، لتقودهم في معركتها ضد الآلهة. كما أن ملحمة الطوفان السومرية حملت كائنات بحرية مرعبة، تمثل الفوضى التي يغمر بها الماء كل شيء، قبل أن يهبط السلام من جديد.

الميثولوجيا السومرية ليست مجرد قصص عتيقة، بل أول مرآة كبرى عكست قلق الإنسان أمام الموت، وأمله في الخلود. من نشأة الكون من المياه الأولى، إلى صراع الآلهة مع تيامات، إلى رحلة جلجامش في بحثه عن سرّ الحياة، نجد خيوطاً متشابكة من الحلم والرهبة، من الطين والسماء.

لقد علّمتنا هذه الأساطير أن الإنسان، منذ فجر الحضارة، لم يرضَ بحدود عمره القصير، فسعى ليكتب نفسه في حجر، وفي أسطورة، وفي مدينة تبقى بعده. وهكذا، ظلّت الميثولوجيا السومرية شاهداً على أن أول الحكايات، مثل أول المدن، وُلدت من الطين، لكنها طمحت دائماً إلى الخلود.

رابعاً ، الميثولوجيا النوردية :

في عتمة الشمال، حيث الرياح تعصف بالسهول والثلوج تغطي الأرض، وُلدت الميثولوجيا النوردية، كأنها صدى صوت الطبيعة نفسها. في البداية، لم يكن سوى الفوضى والفراغ، عالمٌ بلا زمن يُعرف باسم **جينون غاغاب** ، حيث لا نور ولا شكل، بل ضباب هائل يبتلع كل شيء.

من الجليد الشمالي ومن النار الجنوبية ظهرت الحياة : الجليد الميت **نيفل هيم** والنار المقدسة **موثي ليم** ، وعند التقاء الجليد بالنار تدفق الماء الذي خلق **يمير**، العملاق

الأول، ومنه ولدت كل المخلوقات. هذه الميثولوجيا نشأت كرد فعل الإنسان الإسكندنافي على الطبيعة القاسية، محاكية الرياح العاصفة، البحار الهائجة، والليالي الطويلة، حاملة رؤية عن الكون، الموت، والشجاعة في مواجهة المصير المحتوم.

عالم الآلهة النوردية كان غنيّاً وصاخباً، مكتظاً بالصراعات والحكمة. أبرزها **أودين** ، رب الحكمة والحرب والموت، الذي ضحى بعينه ليشرب من ينبوع المعرفة، طالباً الفهم على حساب ذاته. أودين قاد الآلهة، ويقودهم اليوم في صراعاتهم مع العمالقة الذين يمثلون قوى الفوضى.

ثم **ثور**، إله الرعد، صديق البشر، رمز القوة والشجاعة، الذي يحمل **المطرقة ميولنير** ويهزم كل من يقف ضد النظام الإلهي.
هناك أيضاً **فريغ** ، ربة الحب والزواج، و **لوكي** ، الإله المخادع، الذي يثير الفوضى لكنه جزء لا يتجزأ من مسار الأحداث، يرمز للتناقض والدهاء في الطبيعة البشرية والإلهية على حد سواء. و **فريا** إلهة الحب والجمال ..

الآلهة النوردية ليست مجرد صور جامدة، بل شخصيات حية، تمتزج فيها القوة بالضعف، الحكمة بالغرور، والحب بالغضب. كل واحد منهم يساهم في تشكيل شبكة من الحكايات التي تصوغ علاقة الإنسان بالطبيعة وبالقدر.

الميثولوجيا النوردية لا تقتصر على الآلهة وحدها، بل تروي حكايات أبطال يعبرون حدود الإنسان. **سيغورد** ، قاتل **التنين فافنير** ، هو أشهرهم، يرمز إلى الشجاعة والحيلة، مستخدماً ذكاءه لا القوة وحدها، ليصبح رمز البطولة.

أما **بيلاتش** و **بير** في الأساطير الإسكندنافية، فكانوا يمثلون البشر الذين يقفون في مواجهة العمالقة والمخلوقات الخارقة، مجسدين الصمود في وجه قوى الطبيعة والصراع مع القدر المحتوم. هؤلاء الأبطال يظهرون فكرة محورية في الميثولوجيا النوردية: رغم الشجاعة والذكاء، فإن مصير كل المخلوقات مرتبط **بالراجناروك** ، نهاية العالم، التي ستغرق الآلهة والبشر في معركة كونية عظيمة، قبل أن يولد عالم جديد من الرماد.

الميثولوجيا النوردية تزخر بكائنات مرعبة ومذهلة. من أبرزها **ينغفي** أو الثعبان العملاق **يورمونغاند** ، الذي يحيط العالم بأسره ويهدد سكانه بقدرته الهائلة على الدمار. وهناك **فينرير** ، الذئب الضخم، الذي سيبتلع أودين في نهاية العالم، رمزاً للقوى التي لا يقدر عليها أي إله.

ومن الكائنات الطائرة تأتي **هغريفال** ، الأعجوبة التي تحمي الأسرار، ومن العمالقة **يوتن** الذين يمثلون الفوضى الطبيعية، كقوى الرياح والجليد والجبال التي تواجه البشر والآلهة على حد سواء. كل هذه الكائنات ليست مجرد وحوش، بل رموز لأهوال الطبيعة، للتحديات التي يجب مواجهتها، وللصراع الأبدي بين

النظام والفوضى.

الميثولوجيا النوردية ليست مجرد حكايات قديمة، بل مرآة للروح الإسكندنافية، التي واجهت الطبيعة القاسية بالأسطورة والخيال. من صراع أودين مع الحكمة، وثور مع الفوضى، وسيغورد مع التنين، إلى العمالقة والثعابين العملاقة، نجد قصة الإنسان في مواجهة قوى تتجاوز قدراته، قصة الشجاعة، الحيلة، والمصير المحتوم.

هذه الميثولوجيا تعلمنا أن البطولة لا تعني الخلود، وأن

الحكمة لا تخلص من المصير، وأن الطبيعة، بكل جبروتها، جزء من السرد الإنساني الذي يربط الإنسان بالكون. ومن هنا، تبقى أساطير الشمال، مثل الرياح والثلوج، حيةً في الذاكرة، تحكي صراع الإنسان مع نفسه ومع العالم، وتدعوه للتأمل في معنى الشجاعة والحياة والموت.

خامسةً ، الميثولوجيا عند المايا :

على أرض الغابات الكثيفة في أمريكا الوسطى، حيث الأنهار تتعرج بين المعابد الحجرية والأهرمات الشامخة، وُلدت الميثولوجيا عند شعب المايا. لم يكن الكون بالنسبة لهم مجرد

فضاء، بل لوحة متحركة من الطاقة والروح ... في البدء، لم يكن هناك سوى الفراغ والظلام، ثم ظهرت الأرض، والسماء، والمياه، ومعها تجسدت أول الأرواح التي أعطت الحياة لكل ما حولها.

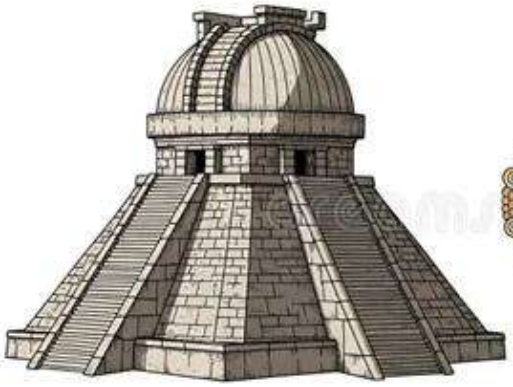

ميثولوجيا المايا نشأت كردّ فعل الإنسان على الطبيعة، على الشمس التي تشرق وتغيب، وعلى المطر الذي يروي الأرض ويأخذ الحياة. لقد كانت الأساطير طريقة لفهم الفصول، والزراعة، والموت، والبعث، ولترسيخ فكرة أن الكون منظّم برموز وإيقاعات كونية، حيث كل حدث في السماء ينعكس على الأرض.

آلهة المايا كانوا كائنات حية تمثل قوى الطبيعة والمجتمع معاً. من أبرزهم **إيتزامنا** ، إله السماء والحكمة، الذي علم البشر الزراعة والكتابة، وجعلهم قادرين على قراءة النجوم وقياس الوقت. ومنه وُلدت مجموعة من الآلهة الأخرى، مثل **تشاك** ، إله المطر والرعد، الذي يحمل فأساً يجلب المياه إلى الأرض، و **كي** ، إله الخصب والزراعة، الذي يضمن وفرة المحاصيل واستمرار الحياة.

هناك أيضاً **إكس تشاك** ، إلهة القمر والليل، و **هوتزيلوبوش** ، الإله الحامي للعدالة والحرب. كان كل إله يتجسد في رموز، وفي الألوان، وفي أماكن معينة، مثل الغابات، الكهوف، والأنهار. ولم يكن لآلهة المايا صراعات مثل الآلهة اليونانية، بل كانوا متشابكين في دورات طبيعية، صانعين للتوازن بين الحياة والموت، بين المطر والجفاف، بين النهار والليل.

ميثولوجيا المايا لم تكتف بالآلهة، بل قدمت أبطالاً بشروا البشر بقصصهم وبطولاتهم. من أشهرهم الأخوين **هويتزل** و **بالانك** ، أبطال **ملحمة بوبي فوي** ، الذين خاضوا رحلة عظيمة في العالم السفلي **كسيلبال باه** ، ليواجهوا الأرواح الشريرة ويستعيدوا شرف والديهم.

هذان الأخوان لم يكونا مجرد أطفال، بل رمزان للشجاعة والدهاء، ومثالاً على القدرة على مواجهة الموت والفوضى باستخدام الذكاء والمعرفة. كما أن الرحلات والمحن التي خاضوها تعكس فلسفة

المايا بأن الحياة مليئة بالاختبارات، وأن الشجاعة الحقيقية تكمن في الصمود أمام المصير المحتوم.

ميثولوجيا المايا تزخر بكائنات خرافية ومخلوقات غريبة. من أشهرها **الكوكولاتل** ، الثعبان الطائر الذي يمثل الحكمة والخلق، و **زاما** ، الروح الحارسة للغابات، و **شولوبي** ، الأرواح الحارسة للموتى في العالم السفلي

هناك أيضاً مخلوقات هجين، نصفها إنسان ونصفها حيوان، مثل **بيشوك** ، الذي يجمع بين القوى الطبيعية للبشر والحيوانات لضمان التوازن بين العالمين. هذه الكائنات ليست مجرد وحوش، بل رموزاً للقوى الكونية التي يجب على البشر احترامها، فهي تجسيد للطبيعة، للموت، والبعث، ولإيقاعات الحياة التي تنسجها النجوم والمطر والشمس.

ميثولوجيا المايا ليست مجرد حكايات، بل مرآة لفكر شعب كان

يعيش متناغماً مع الكون، يراقب النجوم، ويقيس الوقت بدقة، ويعتبر الطبيعة ككائن حي. من رحلات الأخوين هويتزل وبالانك، إلى صراع الآلهة مع العالم السفلي، ومن كائنات الغابة إلى الثعابين الطائرة، نجد دعوة للتأمل في معنى الحياة والموت، والشجاعة والدهاء، والاحترام للقوى التي تحكم الكون.

لقد علّمتنا هذه الأساطير أن الإنسان جزء من شبكة كونية واسعة، وأن الحكمة تكمن في معرفة دوره داخلها، وأن الشجاعة ليست في السيطرة على الطبيعة، بل في العيش بانسجام معها. وهكذا تبقى ميثولوجيا المايا ، مثل غابات أمريكا الوسطى، حية وساحرة، تعكس رحلة الإنسان الأزلية في مواجهة المجهول، ورغبته في الفهم والخلود.

هذه باختصار هي أهم ميثولوجيات التاريخ ، أما طقوس العبادة المرافقة لها فقصة أخرى لسنا في صدد الحديث عنها الآن ، و إن كان يجمع بينها طاعة الآلهة و الخشوع و الخوف منها ، و تقديم القرابين كي ترضى على البشر ..

الميثولوجيا صمدت عبر آلاف السنين لأنها ليست مجرد خرافة، بل مرآة الروح الإنسانية التي تبحث عن المعنى قبل الحقيقة.

حتى مع تقدم العلم وإثبات الطبيعة المادية للعالم و نفي صحة الميثولوجيات، بقيت الأسطورة حاضرة في القلب، لأنها تروي ما لا يستطيع العقل وحده تفسيره.

هي الحكاية التي تتجاوز الواقع، فتجعل الإنسان يواجه مخاوفه، ويرى في الظلام ضوءاً من الحكمة.

تبقى صامدة لأنها لغة الرموز والخيال، لغة تلتقط ما بين النجوم والظلال، بين الحياة والموت.

تمنحنا الشجاعة لنحلم، والقدرة على قراءة قوى النفس والطبيعة في آن واحد.

كل أسطورة تحمل في طياتها درساً، صرخة شعور، وتذكيراً بأن الإنسان أكثر من جسد وعقل؛ هو روح تبحث عن علاقتها بالكون.

لذلك، تظل الميثولوجيا حية، متجددة في كل جيل، رغم أن العلم يشرح الظواهر، فهي تفسر المعنى.

إنها شهادة على خلود الخيال، وضرورة الحكاية في صياغة فهمنا لذواتنا وللعالم اللامحدود حولنا.

الصوفية

ما أجمل **الراقصين المولويين**... أولئك الذين يدورون في صمتٍ عميق ككواكبٍ حول شمسٍ الإله ، لا يرقصون كما يرقص الجسد، بل كما تصلي الروح. إن حركتهم ليست لهواً ولا استعراضاً، بل هي طقس من طقوس العروج، رحلة تبدأ من الأرض لكنها لا تقف عندها، إذ ما إن يشرع الراقص بالدوران حتى يغدو كأنه خرج من حدود الزمان والمكان، مستسلماً لنداء خفيّ يتجاوز اللغة ويعبر إلى ما وراءها.

في المولوية، لا يكون الجسد إلا أداةً لتجسيد الفناء، والفناء هنا ليس موتاً بل ولادة ثانية : تبدد الأنا الضيقة و توسع الروح المتصلة بالكل. حين يمد الراقص ذراعه اليمنى إلى السماء ويخفض اليسرى نحو الأرض، كأنه يقول للعالم : أنا جسر بين العلو و السفل، بين النور الذي يسكب من الأعلى والطين الذي يستقبله في الأسفل. وفي تلك الحركة المكررة، يصبح الراقص وسيلةً للفيض الإلهي على الحياة ..

الدوار الذي يراه المتفرج مجرد دوران، هو في الحقيقة انمحاء تدريجي للذات، كما يذوب الملح في الماء. فكل التفافة هي تجريد آخر من ثقل الجسد، وكل دورة هي انسلاخ من وهمٍ بشري نحو يقينٍ سماوي. حتى تتلاشى الحدود بين الداخل والخارج، بين الدائر

والدائرة، فيصبح الراقص هو الرقصة، وتصبح الرقصة هي الصلاة، وتصبح الصلاة هي العبور إلى حضرةٍ لا تُرى.

ومن يتأمل وجوه المولويين أثناء دورانهم، يلمح تلك السكينة الغامرة التي تُناقض عنف الحركة. عيون نصف مغمضة، كأنها تطل إلى داخل لا إلى خارج، وابتسامة باهتة كأنها انعكاس سرّ لا يُقال. هم في الظاهر يدورون على مسرح، لكنهم في الباطن يدورون في فلك لا نهاية له، حول شمسٍ من محبة الله التي لا تُدرك بالعقل بل تُعاش بالذوق.

إنها حالة صوفية تتجاوز الفهم العادي : الجسد يتحرك، لكن الروح هي التي ترقص. الأصوات الموسيقية والأنغام لا تُسمع بالأذن وحدها، بل بالكيان كله. حتى الصمت الذي يسبق الطقس أو يعقبه ليس فراغاً، بل امتلاء من نوع آخر، امتلاء بنشوة خفية لا يعرفها إلا من ذاقها.

وهكذا، يصبح رقص المولوية درساً رمزياً للبشر أجمع: أن الحياة، مهما بدت معقدة ومليئة بالصراع، إنما هي

دوران دائم حول مركز لا يتغير. وأن التلاشي في الحب الإلهي ليس خسارة بل خلاص، وأن أجمل الحركات ليست تلك التي تسعى إلى إظهار الذات، بل تلك التي تنمحي فيها الذات كي تفسح المجال للنور.

فالمولوية ليست فناً جمالياً فحسب، بل هي فلسفة عميقة تختزل سرّ الإنسان بين الأرض والسماء، بين الجسد الذي يخطو على التراب والروح التي تحوم في عوالم الغيب. هي تذكير لنا أن الرقص الحقيقي ليس ما تفعله الأقدام، بل ما يفعله القلب حين يستسلم لنداء الأعلى.

الصوفية إذن ..

هي ذروة العبادة و منتهى الإيمان .. عندما يذوب الأرضي في السماوي و يتماهيان في كيان واحد أحد .. توجه ديني مفعم بالتأمل

و ملهم للبشرية بمئات الأقوال الذهبية ، تبلسم الجراح و تداوي الأرواح بالعسل المصفّى .. و إن كنا قد قاربنا في الفصول السابقة الأديان السماوية و الأرضية و الحديثة العجيبة و الميثولوجيات الشهيرة ، فالصوفية هي قمة الهرم ، القطعة الأخيرة من الأحجية التي يتكامل معها كل شيء ..

لذا ارفع النخب عزيزي القارئ و هيا بنا نمنح الصوفية جزءاً يسيراً من حقها الضائع ..

أولاً ، تاريخ الصوفية :

الصوفية ... ذلك النهر الخفي الذي شق طريقه في أرواح البشر كما تشق الجداول مجراها في الصخور، بصبرٍ هادئ وعمقٍ لا ينضب. ليست الصوفية مذهبا سياسيا ولا تيارا عابرا، بل هي حنين قديم للإنسان نحو المطلق، توق دفين في قلب كل كائن أن يخرج من حدود التراب ويستظل بأفق النور. وحين نتتبع تاريخها في العالم، لا نجدها وليدة زمن أو مكان بعينه، بل نلمح جذورها في كل حضارة وديانة، إذ ما من إنسان رفع بصره إلى السماء بحثاً عن معنى إلا وكان فيه مسّ من الصوفية ..

في العالم الإسلامي، ظهرت الصوفية أول الأمر كبذرةٍ من خشية الله وزهدٍ في الدنيا. كان الصحابة الأوائل يسلكون طريق الصفاء الداخلي، ثم جاء التابعون والزهاد الذين فرّوا من زخرف الحياة، ليقيموا في الصحراء أو في الزوايا، مكتفين باليسير، حاملين قلوبهم كأواني نقية لا تطيق امتلاءً بغير الله. ومع مرور القرون، تشكّلت الطرق، وتبلورت التعاليم، فبرزت أسماء عظيمة أضاءت سماء الروح : **الجنيد، الحلاج، السهروردي، جلال الدين الرومي، ابن عربي**... كانوا شعراء ومفكرين ومجذوبين في آن واحد، حملوا سرّ الله في كلماتهم، وجعلوا من تجربتهم الروحية جسراً بين الأرض والسماء.

لكن الصوفية لم تبقَ حكراً على المسلمين، بل وجدت لها أشباهاً في ديانات وثقافات أخرى. في المسيحية، كان الرهبان والمتصوفة الكبار – من **يوحنا الصليب** إلى **تيريزا الأفيلية** – يعيشون تجارب شبيهة، يغرقون في صلوات طويلة حتى تغدو قلوبهم معراجاً للرحمة. في الهند، أزهرت **مدارس اليوغا والبهكتي**، حيث الانصهار في المحبوب الإلهي يشبه الفناء الصوفي في حضرة الله. حتى في الشرق الأقصى، في **الزن البوذي والطاوية الصينية**، نجد ذات البحث عن الصمت العميق الذي يتجاوز الكلمات، عن فراغٍ يكتنز بالامتلاء. وكأن الصوفية خيط ذهبي ممتد عبر الأديان كلها، يوحّد الإنسان في عطشه للمعنى.

أما جوهر الصوفية السامي، فلا يُختصر في طقوس ولا أزياء، بل في سعيها إلى تحرير الإنسان من أوهام الأنا. الصوفي يعلم أن النفس أخطر أعداء الإنسان، فهي التي تشتهي وتخدع وتنتفخ بالغرور. لذلك جعلوا شعارهم : (**من عرف نفسه فقد عرف ربه**) .. فالطريق الصوفي يبدأ بالزهد والتقشف، ثم بالذكر الدائم حتى تنطفئ ظلمات الغفلة، ثم بالمحبة التي تتسع لتشمل كل الوجود. عندها يتحقق (الفناء في الله) ، لا فناء الجسد، بل فناء الكبرياء

والأنانية، ليفيض الإنسان بنورٍ لا يخصه وحده بل يغمر العالم من حوله.

الصوفي لا يرى اختلافاً بين الناس في ألوانهم ومذاهبهم، لأنه غاص أعمق من السطحيات حتى بلغ النبع الواحد الذي يشرب منه الجميع. **لذلك كان الصوفيون في التاريخ دعاة سلام وتسامح،** يميلون إلى العفو لا الانتقام، إلى الإصلاح لا الصراع. لم يكن هدفهم السلطة ولا الجاه، بل كانوا يهربون منها كما يهرب العطشان من السراب. كانوا يرون أن قيمة الإنسان لا تُقاس بما يملك، بل بما ينفق من محبة، وبما يضيء من قلوب الآخرين.

ومن أسرار السمو الصوفي، أنه يجمع بين الفلسفة والشعر، بين العبادة والفن. فقصائد الرومي وابن الفارض، وأشعار الحلاج، لم تكن مجرد كلمات، بل أنغاماً من نارٍ وندى، تعبر القرون لتوقظ فينا ذات الظمأ. حتى الموسيقى والرقص، كما في المولوية، لم تكن عندهم لهواً، بل وسيلة لتجسيد الانسجام الكوني، حيث تدور الأرواح كما تدور الكواكب حول مركزها الأزلي .. الشمس الإلهية التي تنير الكون ..

إن تاريخ الصوفية هو تاريخ بحث الإنسان عن الحرية الداخلية، عن النجاة من قفص الشهوة والزمان .. و جوهرها السامي هو أن يذوب الفرد في بحر المحبة حتى يغدو (**لا شيء**) ، ليكتشف أنه في اللا شيء هذا قد صار (**كل شيء**) .. ومن هنا، فهي ليست مجرد صفحة في كتاب الدين، بل صفحة في كتاب الإنسان، ستظل تقرأها الأرواح في كل عصر، لأنها تجيب عن سؤال لا يموت : **كيف نكون بشراً، ومع ذلك لا نتوقف عن العروج نحو ما يتجاوز البشر؟**

ثانياً ، الصوفية فلسفياً :

الصوفية، حين ننظر إليها من زاوية فلسفية، ليست مجرد طريق

للزهد أو التعبد، بل هي محاولة جريئة لفهم الوجود من الداخل، لا من الخارج. إنها فلسفة القلب مقابل فلسفة العقل، إذ بينما ينشغل الفيلسوف العقلي بتفكيك العالم عبر المنطق والتحليل، ينشغل الصوفي بالانغماس في جوهره عبر التجربة المباشرة، عبر الذوق والشهود. **فالفيلسوف يسأل : ما الحقيقة ؟ أما الصوفي فيغدو هو الحقيقة حين يفنى في المطلق، فيصبح السؤال والجواب شيئاً واحداً.**

الفلسفة التقليدية كثيراً ما سارت على خط العقل الجدلي، تبحث عن برهان، عن تعليل، عن بناء منطقي يربط المقدمات بالنتائج. أما الصوفية، فهي فلسفة لا تخاطب العقل وحده، بل الوجدان والكيان بأسره، لأنها ترى أن المعرفة الحقة لا تُنال بالاستدلال وحده، بل بالتذوق، بما يسمونه (**المعرفة الحضورية**) .. والمعرفة الحضورية تعني أن يدرك الإنسان الحقيقة لا كشيء خارجي عنه، بل كحضورٍ في داخله. وهذا ما يجعل الصوفي فيلسوفاً من نوع آخر : فيلسوفاً لا يكتب بالمنطق، بل يعيش بالمعاناة الروحية.

من الناحية الفلسفية، يمكن القول إن الصوفية محاولة لتجاوز الثنائية التي يعاني منها الفكر الإنساني : ثنائية العقل والجسد، الروح والمادة، الشرق و الغرب ، الإنسان والله. فبينما عجزت الفلسفات الوضعية عن حل هذه الانقسامات إلا بميلٍ نحو طرف دون الآخر، جاءت الصوفية لتقول : **لا انفصال في الحقيقة، بل وحدة في العمق.** كل كثافة في المادة ليست إلا ظلّاً للنور، وكل روح ليست إلا امتداداً للكلّ الأسمى. ومن هنا يتجلّى مفهوم (وحدة الوجود) عند ابن عربي، أو مفهوم (الحق والحقيقة) عند الرومي، باعتبار أن كل ما في الوجود إشارات ورموز تدل على المطلق و تبصم على أن الله هو كل شيء معاً .. الليل و النهار .. المادة و الروح .. الشرق و الغرب .. الأول و الآخر .. الظاهر و

الباطن و كل الثنائيات الأخرى في كيان واحد أحد ..

ومن اللافت أن الصوفية فلسفة ليست نظرية فقط، بل عملية أيضاً. فبينما قد تبقى كثير من النظريات الفلسفية في فضاء التجريد، تترجم الصوفية رؤيتها في طقوسها وممارساتها : في الذكر الذي يكرّس الحضور، في الخلوة التي تتيح مواجهة النفس، في السماع والرقص الذي يجسد الانسجام الكوني. وكأنها تقول إن الفلسفة لا تكون فلسفة حقاً ما لم تصبح أسلوب حياة.

وجوهر هذه الفلسفة أن **الحقيقة واحدة، لكن طرق الوصول إليها متعددة. لذلك انفتح الصوفي على كل الأديان وكل الثقافات،** ورأى فيها مرايا تعكس ذات النور. في هذا المعنى، يمكن أن نعتبر الصوفية أفقاً فلسفياً كونيّاً، يتجاوز الانقسامات العقائدية الضيقة، **ليبحث عن النبع الذي يسقي الجميع.** إنها فلسفة **الكلّ في مقابل الجزء، الوحدة في مقابل التعدد، الحب في مقابل الصراع.**

وبذلك، تبدو الصوفية كأنها الوجه الآخر للفلسفة، الوجه الذي يعيد إليها بعدها الشعوري والوجودي، فلا تعود مجرد لعبة عقلية، بل بحثاً صادقاً عن معنى الإنسان في الكون. **إنها فلسفة لا تُكتَب**

بالحروف فقط، بل بالدموع والصلوات والرقصات، فلسفة ترى أن المعرفة الحقيقية ليست ما نملكها في كتبنا، بل ما يسري فينا كتيار سرّي لا ينضب.

ثالثاً ، أشهر أقوال المتصوفين :

لقد ترك المتصوفون من بعدهم إرثاً حياً لا يموت ، يرسم لنا ملامح الطريق الذي قادهم إلى الله و الصورة التي رسموها له في تصوفهم ثم آلية التماهي مع هذه الصورة في حياتنا .. و في أرشيف التاريخ كنوز حقيقية من هذا النوع كأشعار و أقوال و قصائد ، فنجد شيخ المتصوفين **جلال الدين الرومي** مثلاً يقول :

(مَن عرف نفسه فقد عرف ربه.)

و أيضاً :

(المهمة ليست أن تبحث عن الحب، بل أن تزيل الحواجز التي بنَيتَها في داخلك ضده) ..

ثم انظر إلى هذه المقولة ما أروعها من فلسفة :

(جُرحك هو المكان الذي يدخل منه نور الله إليك.)

ثم تسيل جوهرة أخرى من شفتيه :

(أنت لست قطرة في المحيط. أنت المحيط كله في قطرة.)

يطل علينا من خلفه المتصوف الجميل **شمس الدين التبريزي** فيقول :

(العقل قد يوصلُكَ إلى الباب، لكنّه لا يدخلك إلى البيت.)

ثم يتابع :

(إذا حاولت أن تعرف إلى أين يقود الطريق، لا فائدة؛ فكّر فقط في خطوتك الأولى، فالبقية ستتكوّن.)

و ما أجمل مقولته الفلسفية :

(من يعيش ليُرضي الناس يعيش في دوّامة الخداع.)

و من تحفه الصوفية أيضاً :

(العالم كامل فريد؛ الجميع مُربوط بخيوط غير مرئية.)

ثم يظهر ظل **الحلاج** الغامض ليقول :

(أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... نحن روحان حللنا بدنا)

و يتابع العزف على نفس الوتر فيقول :

(مزجت روحك في روحي كما تمزج الخمرة بالماء الزلال.)

ثن يتابع غموضه الشفاف فيقول :

(عجبت لك يا سرّي كيف ظهرت، وعجبت لك يا علني كيف استترت.)

و نجد إلى جانبه رفيق درب الصوفية **ابن الفارض** يتمتم :

(قلبي يحدثني بأنك متلفي .. روحي فداك عرفتَ أم لم تعرفِ.)

و نختم بشعره الأيقوني الذي يسكر كل من يتلوه :

(شربنا على ذكر الحبيب مدامةً ... سكرنا بها من قبل أن يُخلق

الكرمُ.)

و قائمة المتصوفين و دررهم لا تنتهي .. فالتصوف عقيدة روادها عبر صفحات التاريخ كثر ، و المتصوف متى امتلأ قلبه بالله فاض حكمةً على لسانه ، فمن يعرف الله لا يحتمل الكتمان ..

يقول المتنسك الهندي **راما كريشنا** :

الله كالبحر و الإنسان المتنسك كالملح فيه

و هذا يختصر كل شيء بجمالية .. إن تبخر ماء البحر بقيت النفوس كملح بلا قيمة .. أما إن انتزع الملح من البحر فلا ينقصه بشيء بل إنه يزداد عذوبةً و صفاءً عندما يتنقى من آثام الخطائين فيعود الحجر المقدس أبيض نقياً ، فالناس بحاجة إلى السماء على الدوام لا العكس ..

العالم الآخر

يعلم كثير منا أنّ الكون يتوسع بسرعة تفوق سرعة الضوء ، لكن الأسئلة الأهم هنا في الحقيقة هي :

إلى أين يتوسع الكون ؟

و إلى متى سيبقى يتوسع ؟

هل هنالك حدود للحيز الذي يتوسع فيه ؟

و إن كان هنالك حدود للحيز فماذا يوجد خلفه ؟

في الحقيقة الجواب الشائع بين الناس على هذه الأسئلة هو أننا لم نفكر بهذا الموضوع من قبل ، أو من فكر به يقول أن الكون يتسع إلى ما لانهاية و لا وجود لشيء من حوله سوى الظلام .. فهل هذه الأجوبة كافية و منطقية أم أنها مغالطة جديدة كونية بطبيعتها ؟ و إن كانت كذلك ، فما هي الأجوبة الحقيقية على هذا الأسئلة الوجودية الجوهرية ؟

هذا ما سنحاول الإجابة عليه خلال الصفحات التالية بمقاربة (**العالم الآخر**) من **3** زوايا غريبة و هامة وشيقة للغاية :

- **إلى متى سيتوسع الكون ؟**
- **أين يوجد الحيز الذي يتوسع فيه الكون؟**
- **ماذا يوجد خلف الحيز الكوني ؟**

لذا اربط أحزمتك عزيزي القارئ و استعد فنحن مقبلون على رحلة بعيدة للغاية و مغامرة تحبس الأنفاس سنصل فيها إلى حيث لم يصل أحد من قبل ثم عاد من جديد ..

أولاً ، إلى متى سيتوسع الكون ؟

إن العلم و الدين في الحقيقة يتفقان معاً في الإجابة على هذا السؤال :

❁ **الجواب العلمي** : هنالك كم معين من الطاقة موزع في هذا الكون لا يفنى و لا يخلق من العدم بل يتنقل من شكل لآخر بدون زيادة أو نقصان ككل .. و الجزء الأكبر من هذه الطاقة تقف وراء توسع الكون الرهيب على نحو أسرع من الضوء ، لكن هذه الطاقة ستستهلك بالكامل ذات يوم و عندها سنكون أمام أحد **3** احتمالات لمصير الكون :

- ثبات الكون على وضعه الأخير و برودته بشكل مهول ..
- تمزق الكون ..
- تغلب قوى الجاذبية على قوى التوسع و انكماش الكون و أياً كان مصير الكون فهو بالنهاية لن يتوسع إلى ما لا نهاية ..

❁ **الجواب الديني** : يقول البارئ في الذكر الحكيم :

((يوم نطوي السماء كطي السجلّ للكتاب * كما بدأنا أول خلقٍ نعيده * وعداً علينا إنا كنا فاعلين))

و هذه الآية تشير بوضوح إلى أنّ البارئ سيعيد الكون في نهاية القصة إلى وضعه الأولي الذي كان عليه ، فإن آمنا علمياً أنه كان عبارة عن نقطة مفرطة الكثافة قبل الانفجار العظيم فهو إذن سيعود إلى هذه الهيئة مجدداً ، و هذا يشير إلى خيار وحيد من الخيارات الثلاثة السابقة و هو انكماش الكون .. و بالمحصلة الكون دينياً

لن يتوسع أيضاً إلى ما لا نهاية ..

ثانياً ، أين يوجد الحيز الذي يتوسع فيه الكون ؟

◉ **من وجهة نظر العلم** : لم يتمكن العلم حتى الآن من رصد أي إشارات من خارج الحيز الكوني ، بمعنى أن ما يحدث خلف حدود هذا الحيز الذي يتوسع فيه الكون مبهم بالكامل علمياً ..

◉ **من وجهة نظر الدين** :

يقول البارئ في الذكر الحكيم :

((تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة))

و هذا يعني بوضوح أن انتقال الإنسان بعد موته يتم من الكون الموجود فيه (الكون الأصغر) إلى عالم آخر خارجه (الكون الأكبر) .. بمعنى أن الحيز الذي يتوسع فيه كوننا العزيز موجود

في كون آخر أكبر منه بكثير ، بل على الأرجح هو عبارة عن حيز صغير للغاية فيه بحيث يحكم الله سيطرته على الكون الأصغر تلافياً لحدوث أي خروقات بشرية ممكنة .. وحتى في حال تفجر الكون الأصغر لسبب ما فهو لن يعدو كونه زوبعة في فنجان قهوة في الكون الأكبر أي لا تأثير يذكر له !!

◉ **من وجهة نظر شخصية** : الكون الأصغر يتوسع في كرة من مادة ما موجودة في الكون الأكبر .. كرة أشبه بكرة الساحرة المستبصرة التي ترى من خلالها كل شيء من ماضٍ و حاضر و مستقبل .. كرة سحرية بين يدي شجرة السماء (الزيتونة) ..

ثالثاً ، ماذا يوجد خلف الحيز الكوني ؟

توصف جنان الله في الكتب السماوية بمصطلح (العالم الآخر) ، أي أننا نتحدث عن عالم مشابه لعالمنا في كثير من الجوانب ، أما أهم ميزات الكون الأكبر الذي سنعيش فيه عن الكون الأصغر الذي نعيش فيه الآن فهي التالي :

❁ **غياب المشاعر السلبية** التي نعاني منها في الكون الأصغر ، فهنالك لا وجود للألم أو الحزن أو الحقد أو الحسد أو التعب أو المسؤوليات أو غيرها ..

❁ **لا معنى للزمن** ، فهنالك أوقات مستمرة من المتعة لا تتوقف بنوم أو تنتهي بموت ، بلا ماضٍ أو حاضر أو مستقبل أو ساعة أو توقيت .. فكل هذه مصطلحات دنيوية خاصة بالكون الأصغر فقط ..

❁ **متعة لا تنتهي** تجعل المتع الدنيوية من أوقات سعيدة و طعام و شراب و جنس بل حتى مخدرات كما يعتبرها البعض و غيرها مجرد مقبلات بسيطة للغاية قبل الطبق الرئيسي

❁ **عدد هائل من الأكوان الموازية** بحيث يكون كل إنسان عاش على هذه الأرض هو ملك كونه الخاص المصمم وفق ميوله و رغباته و شخصيته الأرضية .. و تتشابك هذه الأكوان على نحو مدهش يفجر العقل حرفياً ..

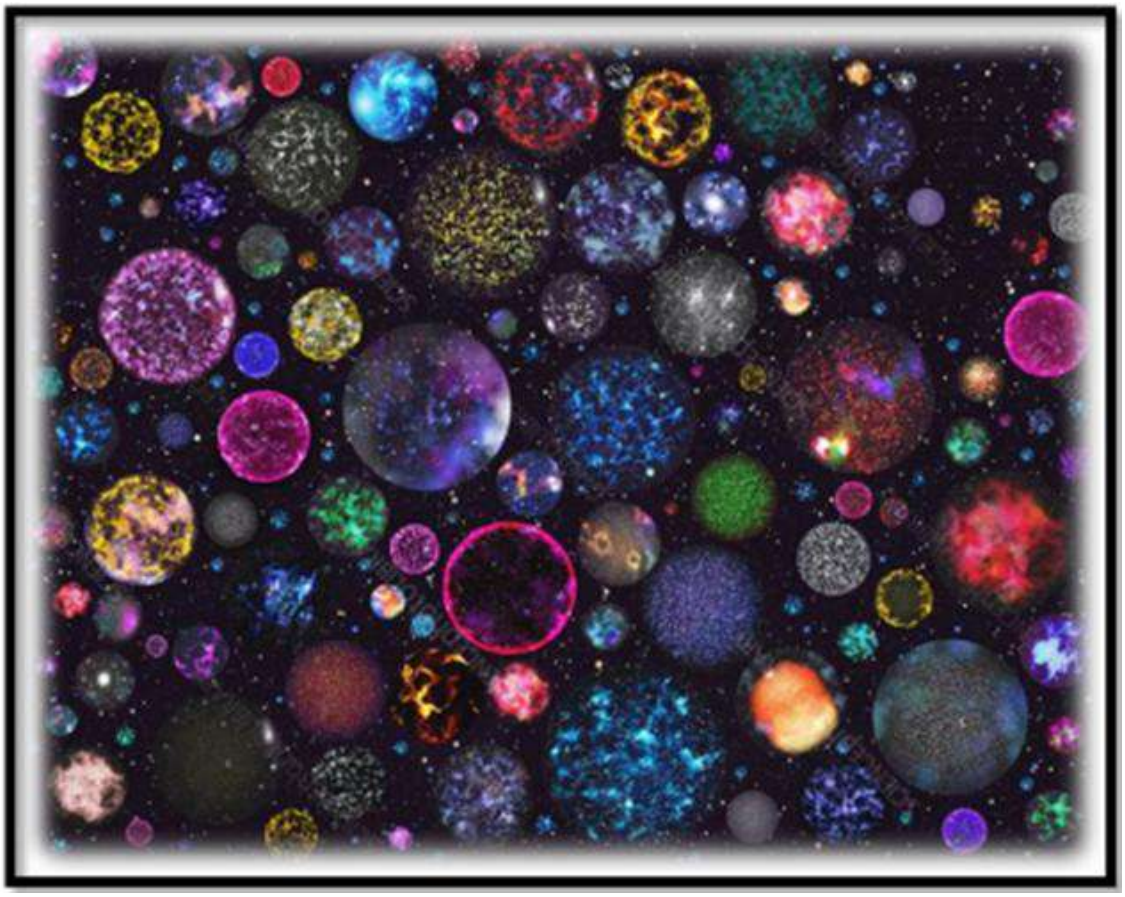

❁ **عدد غير منته من العوالم الافتراضية** شديدة التطور ، بحيث يمكن لكل إنسان أن يعيش في أي جسد يريده في أي بيئة يختارها و يعيش أي قصة أو مغامرة يتخيلها كل ما عليه هو اختيار البيانات الصحيحة ..

❁ **إمكانية كل إنسان أن يرى حياته التي عاشها على الأرض بتفاصيلها كلها** بتجسيم ثلاثي الأبعاد و كأنه يعيش مع نسخته السابقة تماماً منذ كان نطفة و بويضة يلتقيان حتى وفاته ..

و تخيل معي عزيزي القارئ كم هذا رائع و مذهل .. أن ترى نفسك جنيناً ثم رضيعاً ثم طفلاً ثم شاباً و هكذا .. و تتذكر أحداث تلاشت من ذاكرتك ..

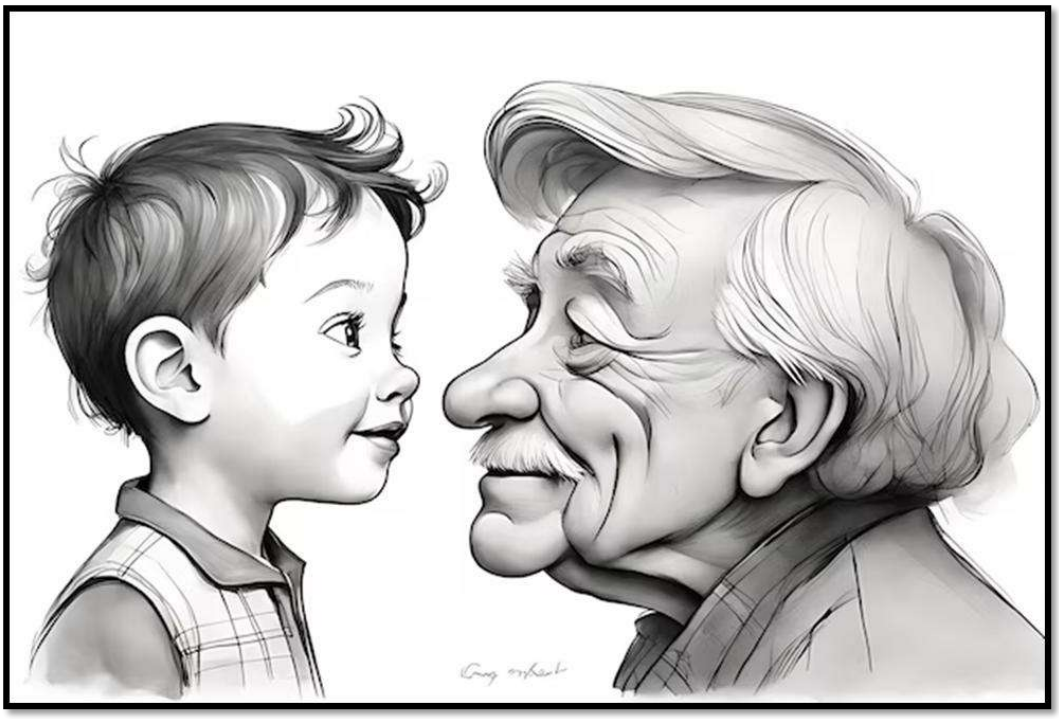

❁ **معرفة الإنسان لنوايا الآخرين تجاهه في الحياة** ، من ضحى من أجله دون أن يعرف و من خانه و تآمر عليه من وراء ظهره ..

❁ **معرفة الإنسان لتأثير أفعاله الأرضية على الآخرين عبر الأزمنة الثلاثة** و هذه الميزة مذهلة لدرجة تفوق الوصف ، حيث سيصدم كل إنسان بالتأثير المرعب لكيانه على الآخرين و على الكون الأصغر ، في حين كان يحسب نفسه قليل الأهمية و ربما بلا فائدة أو تأثير يذكر ، لكنه سيكتشف أن للسماء نظرة أخرى له فهي لم تخلقه جزافاً بلا أدنى شك !!

❁ **رؤية أحبائك في فترات عمرية لم تشهدها** ، كوالديك

عندما كانوا أطفالاً أو أحفادك عندما أصبحوا عجائز و هكذا ..

❁ **الفهم الكامل لقصة الحياة الدنيوية** ، كيف بدأت و تطورت و انتهت ، السبب الكامن خلف خلق البشر فيها ، و الآليات المتنوعة لإدارتها ، و الدروس المختلفة البليغة و النبيلة لبناء الإنسان الحقيقي فيها ..

❁ **و بالطبع التعرف على شجرة السماء الزيتونة** ، على قصتها الملحمية الطويلة في بناء ذاتها و التي انتهت باكتشافها للكون الأكبر و لكل شيء ثم تصميمها للكون الأصغر و لنا فيه و منحها الحب الذي تستحقه منا ..

و القائمة تتسع و تطول من مزايا العالم الآخر .. لكن الأكيد أن **اسم الجنة لم يشتق من الجنون عن عبث** ، بل لأنها ستفقدك عقلك من هول جمالها و تطورها و متعتها ، لذا جلّ ما عليك فعله عزيزي القارئ في هذه الحياة الدنيا هو أن تسعى لصلاح أفكارك و أقوالك و أفعالك و تترك لك أثراً طيباً فيها بحيث تليق بك جنان الله بعد موتك ..

*****

في الحياة الدنيا يعمل الإنسان بجهد طوال الشهر بلا كلل أو ملل بغية تحصيل مكافأته آخر الشهر(**الراتب**) كجائزة لتعبه ، فينفقه على متعته و متعة من يحب ..

فكيف إذن يتذمر الإنسان من بذل الجهد و الالتزام بوصايا السماء في حياته كي يستحق عند نهايتها جائزة عبارة عن :

شيك على بياض من **النعم** و **السعادة** و **المتعة** ؟!!

فكر بها قليلاً عزيزي القارئ فستجد أن سبب ذلك هو **شك الإنسان بالحياة بعد الموت أو ربما عدم إيمانه بها من الأساس** .. فالإيمان الحقيقي يعني الوعي البديهي بأن هذه الدنيا الفانية مجرد **غمضة عين** قبل الخلود في الآخرة لذا تستحق منا الزهد و عدم التمسك بها و الالتفات إلى صلاح الأفكار و الأقوال و الأعمال على امتداد سنين عمرنا حتى يتوفانا الله و ننتقل إلى كونه الأكبر .. صدقني ما ينتظرك هناك لا يستوعبه عقلك و يستحق منك بذل الغالي و النفيس في حياتك كي تحظى به في النهاية ..

الزيتونة

(شجرة السماء)

تحدثنا في الفصل السابق عن شجرة السماء (**الزيتونة**) بشكل عابر، و التي ذكرت في القرآن الكريم في سورة النور ، و ناقشنا طريقة تدبيرها للأمور في الكون الأصغر ، كما ناقشنا ذاك الفصل طبيعة الكون الأكبر الذي ينتظرنا بعد الموت ، فهل انتهت القصة هنا ؟ في الحقيقة لا فهذه ظلم كبير و جائر ، لأن الجزء الأهم و الأكثر دهشة و غموض من القصة هو ما حدث مع الزيتونة في الكون الأكبر قبل تصميم الكون الأصغر ، و كي نتعرف أكثر على حياتها هذه ، سنقوم بمقاربتها من زاويتين هامتين و شيقتين للغاية :

- **أسطورة حيّ بن يقظان ..**
- **مراحل تطور الزيتونة ..**

فهيا بنا عزيزي القارئ نغادر فضاء الكون الأصغر إلى الكون الأكبر ثم نعود هناك بالزمن إلى الوراء إلى بداية البدايات حينما لم يكن هنالك زمن على الإطلاق .. مجرد نقطة صغيرة مقدسة تحوي في جيناتها كل شيء قادم حرفياً .. الشرنقة التي خرجت منها الزيتونة كفراشة لطيفة لكن بعد كفاح طويل جداً كدودة قز تكتشف أسرار الكون الأكبر بشغف و فضول ..

أولاً ، أسطورة حيّ بن يقظان ..

لماذا سنتحدث عن هذه الأسطورة ؟ لأنها ذات صلة كبيرة و مشابهة بشكل عميق و غريب لتطور الزيتونة في الكون الأكبر كما سنرى بعد قليل ..

رواية تحكي قصة شخص يدعى حي بن يقظان نشأ في جزيرة وحده، و تناقش طبيعة للإنسان وعلاقته بالكون والدين، كما احتوت مضامين فلسفية، وشارك في تأليفها عدة أشخاص من الأدباء العرب والمسلمين فكان أول مؤلف لقصة حي بن يقظان هو الفيلسوف **ابن سينا**، وكتبها أثناء سجنه، ثم أعاد بناءها الشيخ **شهاب الدين السهروردي**، وبعدها أعاد كتابتها الفيلسوف الأندلسي **ابن طفيل**، ثم كانت آخر رواية للقصة من قبل **ابن النفيس** .. لكن أشهر مؤلف من بين هؤلاء الأربعة التصقت القصة باسمه هو ابن طفيل..

وقد كان لهذه الرواية أثر كبير على (جون لوك) الفيلسوف الإنجليزي الشهير، الذي كتب كتاباً يصف فيه العقل كصفحة

بيضاء خالية من كل القواعد والمعوقات الموروثة و هو كتاب مستلهم من رواية حي بن يقظان تحت عنوان **الفيلسوف الذي علم نفسه بنفسه** ، وتأثر بالترجمة أجيال من الفلاسفة..

و رواية حي بن يقظان هي الأساس لعديد من روائع الفكر والأدب العالمي مثل كتاب (**عقيدة القس من جبل السافوا**) للفيلسوف الفرنسي **جان جاك روسو**، وكذلك نجد الأحداث المشتركة واضحة بينها وبين رواية **روبنسون كروزو** للكاتب **دانييل ديفو**، وقصة **ماوكلي** فتى الأدغال وشخصية **طرزان** التي تتحدث معظمها عن سلوك الإنسان عندما يجبر على العيش في بيئة منعزلة وحده.

إن ولادة حي بن يقظان تبقى لغزا ، فبعض المصادر تقول أنه ولد لأبوين بشريين ثم تركاه على جزيرة الواق واق ، و البعض الآخر تقول أنه تكون من تلقاء نفسه من التراب و هذه الرواية هي ما تعنينا في مغالطتنا .. و تكمل الروايتان بنفس الأحداث حيث سمعت ظبية كانت تبحث عن ابنها الذي فقدته صوت بكاء الطفل فاتجهت نحوه، وكان أن عثرت على حي الوليد فأرضعته وحضنته ..

يكبر حي بن يقظان وتمر حياته بسبع مراحل.. أما **الأولى** فهي **إرضاع الظبية لحي** وحضانتها ورعايتها له حتى عمر سبع سنوات.. و **الثانية** **وفاة الظبية** وتشريحها من قبل حي لمعرفة سبب الوفاة، وهنا بدأت تتكون عند حي المعرفة عن طريق الحواس والتجربة..

أما المرحلة **الثالثة** فكانت في **اكتشاف النار**.. أما **الرابعة** فكانت في **دراسته لجميع الأجسام** التي كانت موجودة حوله ، فكان بذلك يكتشف الوحدة والكثرة في الجسم والروح، واكتشف تشابه الكائنات في المادة واختلافها في الصور ..

قابل حي بن يقظان رجلاً جاء من جزيرة مجاورة يدعى **أبسال**، ليبدأ الاثنان في طرح نقاشات حول الطبيعة والأخلاق والله ، و يصدم أبسال عندما يعرف أن حي قد اكتشف كل الحقائق لوحده ، و يحاول حي بن يقظان نقل فهمه العقلاني للأشياء إلى أهل جزيرة أبسال، ولكن سعيه ينتهي بالإخفاق ، فيدرك بن يقظان أن معظم الناس تحركهم الأنانية والجشع والعواطف ولا يلقون بالاً لنداء العقل والضمير، ثم يرجع حي بن يقظان إلى جزيرته برفقة أبسال الذي أصبح تلميذا له..

المرحلة **الخامسة** كانت في **اكتشاف الفضاء** وهذا شجعه إلى الخروج من رصد الكون فحسب إلى معرفة أنه قديم للغاية و كذلك فهم آلية نشوئه .. وعند بلوغه الخامسة والثلاثين من عمره، بدأ حيّ مرحلته **السادسة** وهي **الاستنتاج بعد التفكير**، فتوصل إلى أن النفس منفصلة عن الجسد و غيرها من الخلاصات و أنه يعيش حالة توق إلى الموجِد واجب الوجود.. وأخيرا، يصر حي بن يقظان، في المرحلة **السابعة** على أن **سعادته** تكون في **ديمومة المشاهدة لهذا الموجِد الواجب الوجود** ورغبته في البقاء داخل حياة رسمها الموجد له ، و هي بالضبط الخلاصة التي توصلت إليها زيتونة السماء و صممت الكون الأصغر على أساسها كما سنرى بعد قليل ..

ثانياً ، مراحل تطور الزيتونة ..

يمكن تقسيم حياة الزيتونة إلى **4** مراحل رئيسية :

① مرحلة التطور ما قبل الوعي :

و تقسم هذه المرحلة إلى شقين :

❁ **مرحلة الجماد** : و هي المرحلة المكافئة للانفجار العظيم في كوننا الأصغر و مشابهة له بالأحداث حيث تشكلت المادة عبر التسلسل المعروف :

(جزئيات دون ذرية ثم ذرات ثم جزئيات ثم مواد متنوعة شكلت النجوم و الكواكب و الأقمار و الكويكبات ..)

❁ **مرحلة نشوء الحياة** : عبر عملية تطورية ، و في الحقيقة نشوء أول شكل من أشكال الحياة (الخلية) التي تقوم بعملية تنفس في الكون الأكبر تم بسبب وجود بيئة كيميائية مناسبة حاضنة محيطة بها تفاعلت معها فحرضتها على القيام بعملية التنفس تلك ..

و هذا بالضبط هو جوهر عملية تكون **البيضة** و الجنين بداخلها ، فالبيضة عبارة عن مواد كيميائية مغذية و حافظة تحيط بالكائن الحي و تتفاعل معه كي ينمو و يتطور حتى يكتمل و يستقل بنفسه عن البيضة .. و هذا ما ينطبق أيضاً على مفهوم **الرحم** الأشمل

الذي يحيط بالحياة ، بمعنى أنّ الجماد أو المادة أتت أولاً ثم كونت بيئة مناسبة لتطور الخلية الحية لاحقاً ، و هذه الخلية هي البيضة الملقحة بالنسبة للزيتونة التي تطورت و انقسمت عبر عملية تطورية مزمنة للغاية و بدأت أنواع معينة من هذه الخلايا بالتمايز و التخصص كتفاعل مع البيئة من حولها .. **و يلعب الماء دور البطولة في هذه الثورة** بانتقال المادة من جزيئات غير حية إلى خلية حية تتنفس .. و هذه الأحداث كلها جرت في التراب المتشكل على أحد الكواكب ، لذا يقال أن آدم خلق من تراب تماماً كحال حي بن يقظان ، فما ذلك سوى تشبيه لطريقة تكون الزيتونة بنفسها و التي صممت البشر على شاكلتها .. هذه الخلية التي ظهرت أخذت بالانقسام لاحقاً و التطور تدريجياً إلى أن شكلت عبر عملية مزمنة للغاية شبه كائن لكن غير واعٍ .. تحركه الغريزة و يتطور بشكل مستمر ..

② مرحلة ما بعد الوعي :

بعد أول حادثة ثورية في حياة الزيتونة و هي تنفس المادة و ولادة الخلية ، تأتي الحادثة الثورية الثانية و هي ولادة الوعي لدى شكلها الأخير عبر تطور الدماغ إلى مستوى متقدم ، و مع ظهور الوعي ظهر بالتزامن معه :

- ❁ الزمن ..
- ❁ المشاعر بأنواعها ..
- ❁ الأنا ..
- ❁ منعكس اكتشاف الذات و المحيط ..

و هذه المرحلة لا يمكن وصف الألم و الإحباط و الإرادة الفولاذية فيها .. فهي عبارة عن انتقال من إخفاق إلى إخفاق بدون يأس .. و النور في نهاية النفق الذي كان يلهم الزيتونة على المتابعة هو متعة

العلم و الاكتشاف كما حدث مع صديقنا حي بن يقظان بالضبط ، فمع كل اكتشاف جديد كان يطرأ تحسن و تطور على حياة الزيتونة مما يمنحها أملاً جديداً .. و هذه التجارب كلها نجدها في تجارب البشر من حولنا اليوم كأمثلة مبسطة ، و لن أطيل الوصف و الكلام عن هذه المرحلة احتراماً للزيتونة لأن ما من كلام يمكنه الإحاطة بما مرت به و عانته خلال هذه المرحلة .. **لذا فبطل هذه المرحلة هو الإرادة التي لا تقهر ..**

③ مرحلة ترويض الكون :

مع تتالي الاكتشافات أصبحت الزيتونة ذات سيطرة أكبر على جسدها و على المحيط من حولها فتحولت من دور الدفاع إلى دور الهجوم .. و بدأت كقائدة فذة تبسط سيطرتها على رقعة الكون بالتدرج حتى توجت ملايين السنين من التطور المزمن باكتشاف كل غياهب الكون و ترويضه لخدمتها ، و هذه المرحلة سيفهمها فقط البشر الذين ستسنح لهم الفرصة في العيش في آخر سنوات الحياة على كوكب الأرض عندما يبلغ تطور البشرية مستويات

مذهلة .. و يمكن تجسيد هذه المرحلة بأن الزيتونة عبارة عن فارسة و الكون هو حصانها الجامح البري الذي عانت كثيراً حتى روضته بالنهاية و أحالت الكون الباهت إلى جنان ملونة .. **و بطل هذه المرحلة هو العلم و المعرفة التي تخرج المخلوقات من الظلمات إلى النور ..**

④ مرحلة البحث عن عائلة :

في حياة البشر و بعد أن يبلغ الذكر أو الأنثى عمراً محدداً و يفرغون من اكتشاف أنفسهم و اكتشاف الحياة من حولهم يبدأ تفكيرهم بالاتجاه إلى تكوين عائلة تمنحهم **السعادة و الاستقرار و الأمان** و تجعل للحياة معنى .. و هذه الغريزة هي ذاتها التي دفعت بالزيتونة إلى التفكير بتكوين عائلة بعد أن فرغت من تكوين ذاتها ، و الأهم بالنسبة لها تصميم إنسان يختزل في تكوينه و شخصيته الكون الأكبر الذي احتضنها و ترعرعت فيه ليكون هذا الشخص بمثابة عائلة كاملة لها ، أب و أم وأخ و ابن بل و صديق مقرب قضت ملايين السنين تتخيله في فضاء الكون و تناجيه و تفشي له بأسرارها و هي على ثقة تامة أنه موجود في مكان ما من الكون الأكبر ، إنه ببساطة الإله الذي عبدته في حياتها و خالقها الذي تدين له بوجودها .. و لأن الزيتونة اكتشفت بعد ترويض الكون أن لا

وجود لهذا الإله فإنها فهمت أن الكون الأكبر بنفسه هو ذاك الإله الأزلي بلا بداية و الأبدي بلا نهاية .. لذا أرادت تجسيده بشخص وضعت فيه صفات الكون كلها ليكون رمزاً لخالقها الذي تؤمن به .. و من هذا الشخص أرادت أيضاً أن تنجب عائلة كاملة من مليارات البشر ، لأن الجنة بلا ناس لا معنى لها من الأساس .. فبعد العيش في جنتها لملايين السنين الأخرى استنفذت مصادر سعادتها بالتكرار و التعود بغياب الآخر في حياتها الذي يولّد التجديد و الاستمرارية بالمتعة و السعادة ، لذا حسمت أمرها في النهاية و صممت الكون الأصغر كمدرسة تعلم فيها أبناءها البشر أسرار الحياة و دروسها كي تليق بهم جنانها بعد الموت و يعيشوا جميعاً ببهجة و أمان إلى الأبد .. و **بطل هذه المرحلة هو غريزة الأمومة** ..

هذه باختصار شديد هي قصة حياة الزيتونة منذ بدأت كخلية حتى انتهت كحسناء تقود الكون الأكبر و أم عظيمة تنتظر أبناءها بفارغ الصبر و من بينهم شخص واحد تدين له بكل شيء و تعتبره الكون الأكبر الذي ترعرعت فيه و اكتشفت نفسها كما اكتشفت أسراره و خفاياه أيضاً ، البيضة التي فقست أو الشرنقة التي تفتحت و خرجت منهما إلى الحياة ، **الموجد الواجب الوجود** الذي وصل إليه حي بن يقظان بالنهاية ..

هنالك مقطع شعري للشاعر السوري الكبير **نزار قباني** يقول :

(قد تغدو امرأة يا ولدي يهواها القلب هي الدنيا)

و بالفعل ، قد يعشق الإنسان امرأةً بحجم الدنيا، سيدةً متمرسةً، متمردةً، عظيمةً، ملكةً **كزنوبيا** في تدمر، وقائدةً **كديهيا** عند الأمازيغ... حسناء **كنفرتيتي** في مصر، عذبة الصوت **كفيروز** لبنان، مليئةً بالحب **كفينوس** أثينا وبالحنان **كالأم تيريزا**، نقيةً نقاء الثلج **كمريم العذراء**، كعطر مزيج من جميع عطور العالم .. هذه الأنثى باختصار هي الزيتونة عزيزي القارئ .

GPS

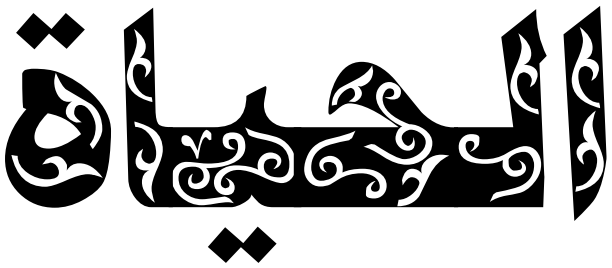

هل هنالك بالفعل نظام GPS بين السماء و الجسد الأرضي ترشد من خلاله السماء الجسد بوضوح إلى الطريق الصحيح في الكون الأصغر حتى يبلغ الكون الأكبر بأقل الخسائر الممكنة ؟!

أم أنّ على الإنسان أن يجرب عدّة طرق و يتوه فيها حتى يعثر على الطريق الصحيح في النهاية ؟!

هذا ما سنحاول الإجابة عليه على نحوٍ كافٍ و وافٍ كما آمل خلال الصفحات التالية بمقاربة مفهوم : (**GPS الحياة**) بطريقة مباشرة نقوم خلالها بتحديد أهم الإرشادات الروحية للبشر كيلا يتوهوا في ظلمات الحياة فيوفروا على أنفسهم كثيراً من الألم و العذاب و الضياع ، و هذه الإرشادات تشمل **11** بنداً إن وعى الإنسان لها بعمق و جسّدها كقناعات و أفعال في حياته فإن رحلته في هذه الحياة الدنيا ستكون بلا شك عبارة عن مغامرة مثيرة و ممتعة و بأقل الصعوبات الممكنة ، فهيا بنا عزيزي القارئ نتعرف على هذه الإرشادات الروحية بالترتيب :

❁ فلسفة الإشباع و بداية الضياع :

تقوم هذه الفلسفة على مبدأ بسيط لكن هام للغاية و هو أنه بعد التعود على نعم الله لفترة من الزمن تفقد النعم قيمتها في نظر مالكها تدريجياً ليتلو ذلك طور الانحدار عندما يصل الإنسان إلى مرحلة لا يقدر فيها ما بين يديه فيفقده ، و في القرآن الكريم آية واضحة و صريحة عن هذه الفلسفة تقول :

(و لو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض و لكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير)

و كما ترى عزيز القارئ كم هي آية مذهلة و معبرة بالفعل ، فالله يعلم ما لا يعلمه البشر و يعرف مصلحتهم أكثر منهم ،إذ يدرك كما يقول بنفسه أن الرزق الشامل للجميع سيؤدي إلى فساد الأخلاق بسبب الوصول إلى الإشباع الخطير الذي ذكرناه آنفاً و بالتالي بداية طور الضياع و فقدان النعم ، و قد يسأل سائل هنا ، لكن لماذا يرزق الله قسماً من البشر الكثير، في حين يقتر رزقه على قسم آخر ؟ !و هو سؤال هام ، مشروع و منطقي بلا شك .. تجيب عليه آية قرآنية مذهلة أخرى متممة للآية السابقة يعتدل معها ميزان العدل الإلهي و تتحقق معها المساواة بين الجميع .. و تقول :

(و تلك الأيام نداولها بين الناس)

أي أنّ دوام الحال من المحال فمن هو في النور أو اليسر قد يمسي في الظلام أو العسر و من هو في الظلام أو العسر قد يصبح في النور أو اليسر و هكذا.. كتوالي النهار و الليل في حياتنا و لا يبقى على حاله سوى الله تعالى ، فالحياة دورات من شدّ و إرخاء .. عسر و يسر ، و بين هذه الثنائيات يلقننا الله أبلغ المواعظ و أعظم

الدروس .. و يمكننا اختزال كل ما سبق بالجملة التالية المبسطة التي تلخص فلسفة الإشباع و بداية الضياع :

(وفرة النعم تسبب البطر ثم فساد الأخلاق ثم

فقدان النعم)

لذا فالإرشاد الأول في نظام **GPS** السماء هو :

(قدّر نعم الله بين يديك جيداً و لا تبطر بها كيلا تصل لمرحلة الإشباع منها فتضيع أنت و نعمك معاً و تنحدر نحو الهاوية)

❁ فلسفة لقاح الظلام :

حياة كل إنسان في هذه الدنيا تمر بثلاث مراحل بدخوله نفقه المظلم الخاص (أبيض ، أسود ، أبيض) و الغاية من هذا النفق و ظلامه هو دفع الله الإنسان إلى تجربة طريق الخطيئة عمداً كي يعي تماماً أنه طريق غوغائي بلا نتيجة مفيدة له أو لغيره فيقدّس النور و يقدّره حق قدره .. و هذا ما يطيب لي تسميته (**لقاح الظلام**) ، أي أنّ الله يريدنا في هذه الحياة أن نجرب و نخطئ بشكل مقصود و

ضروري كي نتعلم من أخطائنا في الحياة الدنيا و بذلك نتجنب الوقوع في أخطاء أكبر منها في الحياة الآخرة تفسد متعتها و بهجتها فتحيلها إلى جحيم مناقض لطبيعتها ، كمبدأ اللقاح تماماً الذي يعطى فيه الإنسان كمية صغيرة من العامل الممرض تمنحه مناعة دائمة ضد الكميات الكبيرة منه لاحقاً ، أي ترك الإنسان يعيش لفترة قصيرة في ظلام الخطايا كي يعلم يقيناً أنها بلا فائدة ترجى على المدى البعيد و بأن عواقبها كارثية تورث الإنسان الشقاء و البؤس ، ليتعلم الدرس جيداً و عصارة العبرة منها فيحصل على مناعة دائمة تقيه من الانجرار إلى أخطاء أكبر منها في الدنيا أو الآخرة تدمر حياته و سعادته إلى الأبد أو تجهز عليها من الأساس و ترسل به إلى العدم ..

و بذلك يكون الإرشاد الثاني في نظام **GPS** السماء هو :

(لا تخشى من ظلام نفقك الخاص إن أجبرت في

فترة من حياتك على دخوله ، فهو كلقاح

سيمنحك مناعة دائمة من الظلام إلى الأبد)

❁ فلسفة الخُلُق سرّ الخَلْق :

إنّ الله يمكنه بغمضة عين و منتهى اليسر و السهولة أن يمنحك في الآخرة أجمل وجه ، أضخم عضلات ، أحلى صوت ، دماغاً فيه كل علوم الحياة ، نعم لا تنضب ، لكن الشيء الوحيد الذي لا يأتي آنياً هو الأخلاق .. فهي لا تمنح من الخارج بل تتكون من الداخل بجهاد من الإنسان لنفسه و كأنه ينحت أخلاقه في روحه بإزميله الخاص ، و هذه عملية تستغرق زمناً طويلاً عبر مراحل متدرجة صعوداً من التجارب المريرة كمعاناة الإنسان من عواقب سوء أخلاقه على نفسه أو من عواقب سوء أخلاق الآخرين عليه حتى يكون قناعة تامة و يقين لا تشوبه شائبة بأنّ الأخلاق هي الخيار السليم الوحيد لازدهار الحياة و تحصيل السعادة ، فتحفر فلسفتها في أعماقه إلى الابد ، و لهذا السبب وجدت الحياة الدنيا كي يصل بنا الله إلى هذه الخلاصة النهائية ، أما بقية الأمور فكما قلنا يمكن لله أن يمنحنا إياها آنياً في العالم الآخر ، أي أنّ الدنيا وجدت من أجل الأخلاق و فقط ، و أما سبب هذا التركيز الحثيث على الأخلاق لدرجة خلق دنيا بكاملها من أجلها فبسيط للغاية ، و هو أنّ انعدام الأخلاق يعني ضياع المخلوقات و تحول الدنيا إلى غابة متوحشة يفترس فيها القوي و الضعيف ، و يبغض فيها البشر بعضهم و يعتدون على بعضهم ... و نهاية كل ذلك هو الفناء بّل أي شك .. و هذا هو مصير الحياة الآخرة لو أنّ الله خلق البشر فيها مباشرةً ، إذ إنه رغم جنانها الرحبة التي فيها كل شيء حرفياً ، فإن البشر بلا أخلاق سيفنون بعضهم فيها و يحيلونها إلى جحيم حقيقي ، و بالطبع حكمة الخالق ارتأت خلق مرحلة انتقالية هي الحياة الدنيا قبل الحياة الآخرة الأبدية لتجنب هذه الكارثة و تنمية الأخلاق في نفوس البشر في الدنيا قبل انتقالهم إلى دار البقاء ..

و بذلك يكون الإرشاد الثالث في نظام **GPS** السماء هو:

(الشيء الوحيد الذي لا يمنحك إياه الخالق من خارجك بل تمنحه لنفسك من داخلك هو الأخلاق و هي الغاية من الخلق بالأساس و لن يطالبك الله في الآخرة بغيرها، لذا انحت روحك بإزميلك فهذّب نفسك و تحلى بمكارم الأخلاق كي تليق بك جنان الله فيما بعد)

❁ فلسفة القدر :

كل تفاصيل حياة أي إنسان محفورة في كتاب محفوظ

من قبل أن يخلق على الأرض أي مذ كان مجرد فكرة في السماء ، و هذا موضّح بشكل صريح لا غبار عليه في القرآن الكريم بقوله تعالى :

(ما أصاب من مصيبة في الأرض و لا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما أتاكم)

أي أنّ كل ما يصيب البشر من أفراح أو أتراح مكتوب في كتابهم من قبل خلقهم ، و ما الحياة سوى تأدية أدوارنا المكتوبة بحذافيرها ، لكننا في نفس الوقت نتعلم من هذه الأدوار أعظم الدروس و أبلغ العظات .. و هذا هو الإبداع الحقيقي في الخلق .. و الإنسان رغم ذلك مخّير و مسيّر في نفس الوقت و هذا ما يضمن سيطرة الله المحكمة على الحياة من جهة و فرض عدله بعبقرية من جهة ثانية .. فهل هنالك شيء يمنعك عزيزي القارئ من النزول إلى الشارع و رمي نفسك أمام إحدى السيارات العابرة في هذه اللحظة ؟ إن فكرت قليلاً ستجد أن لا قوة تمنعك سوى رغبتك بألا تؤذي نفسك أي أنك مخير ، و هذه رحمة إلهية ، لكنّ السماء تعرف أنك لن تؤذي نفسك و بذلك فأنت مسيّر ، و إن كانت لديك رغبة شاذة في رمي نفسك تحت عجلات السيارة من باب حماقة أو يأس فستقوم بذلك دون أن يمنعك أحد من القيام بذلك فأنت مخيّر من جديد .. و بالطبع في حال تعرضت لدهس دون إرادتك من قبل سيارة مسرعة سائقها مخمور أو مراهق طائش فهذا قدر لله غاية منه ، فإما أن حياتك انتهت و مهمتك على الأرض أنجزت ، أو أن تتعرض لعجز يبتليك به الله كي يرّوض روحك أكثر بالمعاناة كي تليق بك جنانه الرحبة ، أو أنك ستشفى تماماً و تبقى تلك التجربة درساً و عبرة لك كنوع من اختبار صبرك ، أو عقاب لك على فعل شائن سابق ارتكبته .. و هكذا أيّاً كان الاحتمال الذي سيصيبك فأنت مخيّر بتنفيذه بإرادتك الكاملة ، و بنفس الوقت هو ليس عبثياً

البتة بل لغايات إلهية نبيلة تصبّ في مصلحتك لذا كتبه الله لك لأنه يناسبك بالمقاس الدقيق ..

و بذلك يكون الإرشاد الرابع في نظام **GPS** السماء هو :

(كل تفصيل من حياتك مكتوب مسبقًا في كتابك عند البارئ ، بمعنى أن لا شيء يحدث صدفة في حياتك ، لذا تقبل حياتك برضا كما هي بيسرها و عسرها ، لأن الخالق فصلها بالمقاس عليك لتناسبك أنت دونًا عن بقية البشر ، فيسرها سيسعدك و عسرها فيه دروس بليغة لك لا تقدر بثمن)

❁ فلسفة حقل الألغام :

في الحقيقة الحياة من حولنا أشبه بحقل ألغام من :

- أمراض و أوبئة ..

- الموت ..
- الكوارث الطبيعية كالزلازل ، البراكين و الأعاصير
- الحروب بمختلف دوافعها ، سياسية ، دينية ، توسعية ، نهب ثروات ..
- الأزمات البيئية كالتصحّر ، ثقب الأوزون و التلوث
- الأزمات الاقتصادية ..
- أذى البشر لبعضهم كالسرقة ، الاحتيال ، الاعتداء بأنواعه ، تشويه السمعة ، المكائد ..
- الخسارة بأنواعها ، خسارة وظيفتنا أو دمار منزلنا أو فقد من نحب ..

و القائمة تطول ، و مما لا شكّ فيه عند تفنيد هذه العوامل كلها أنها بغزارتها و تنوع مصادرها أمر باعث على القلق ، الخوف و الاكتئاب بالفعل حتى الوصول إلى مرحلة اليأس و العجز ثم التوقف عن مصارعة الحياة و المضي قدماً فيها جرّاء الحجم المهول للأهوال من حولنا ، حيث يمكن لأي لغم منها أن ينفجر بنا في أية لحظة .. لكن هنالك عامل مقابل كرد فعل معاكس بالاتجاه و الأهم أنه أشد قوة و مقداراً من هذه العوامل المجتمعة بملايين الأضعاف يحكم سيطرته عليها و كل شيء يجري بإرادته و رضاه وفق معايير مدروسة بدقة و عناية ألا و هو الله ، فإن كان لدينا يقين تام بأن هذا الخالق يتحلى بالصفات التالية : **مطلق القدرة ، خالق حقل الألغام هذا بنفسه و يعرف خفاياه بدقة ، رحيم ، حكيم و نبيل** ، سندرك عندها الحقائق التالية التي تثلج الصدر و تريح النفس :

❁ من خلق حقل الألغام هذا بمقدوره ببساطة أن يحكم السيطرة عليه ..

❁ ما من لغم ينفجر في هذه الدنيا إلا بإرادة الخالق و لغاية نبيلة حكيمة تصبّ في مصلحة الإنسان و تحقق الغاية من خلق الله له في هذا الحقل ، فمنذ أرسلك الله إلى هذا الحقل قد حدد لك مسبقاً نوعية الألغام التي ستنفجر بك ، متى سيحدث ذلك ، عواقبه و الأهم الحكمة و الغاية من انفجاره..

❁ لا يمكن لحياتنا أن تكون مجرد انفجارات متتالية عبثية لألغام العالم المختلفة كي تدفعنا للعيش بحالة من الخوف ، القلق ، الاكتئاب و اليأس ، لأن الخالق ببساطة نبيل و رحيم و بالتالي فهو لم يخلقنا كي يعذبنا بل كي يلقننا الدروس البليغة و يرّوض الوحش القابع في أعماقنا كي يخرج منا صورة نبيلة ، رحيمة و حكيمة على هيئته كي تليق بنا الحياة في جنانه الرحبة في الآخرة و ما هذه الالغام سوى الإزميل الذي ينحت به الخالق تلك الصورة الجميلة فينا .. و بوضع هاتين الزاويتين بوجه بعضهما ندرك الحقيقة التي لا ٍ ريب فيها بأنه لا داعٍ أبداً للقلق أو الأرق أو الخوف في الحياة ، بل يتوجب علينا فقط تسليم أمورنا للخالق بطواعية و هدوء دون تمرد أو تذمر كي نتجنب أن نفجّر ألغاماً عبثية بأنفسنا عندما نمشي عليها طواعية و بإرادتنا .. فكما شقّ الله البحر لرسوله موسى و نجاه من المخاطر خلفه عندما أيقن أن هلاكه حان و لا مهرب أو منجاة له ، في حين أغرق أعداءه في أعماق ذلك البحر ، فإنه سيشقّ لكل إنسان مؤمن به طريقا معبداً بالورود ، السلام و الأمان ضمن حقل الألغام المخيف هذا و ذلك على الله ليس بعسير على الإطلاق

و بذلك يكون الإرشاد الخامس في نظام **GPS** السماء هو :

(صحيح أن كوكب الأرض أشبه بحقل ألغام ، لكن الأصحّ أن هذا الحقل مصمم بيد خالق نبيل حكيم و رحيم ، و

أي لغم سينفجر بك في حياتك هو موقوت في الزمان و المكان المناسبين و لغاية خاصة و مفيدة لك بلا أدنى شك، لذا لا تفني حياتك و تهدر وقتك في خشية ألغام ربما لن تنفجر بك بالأساس طوال حياتك)

❁ فلسفة الولادة الحقيقية :

صحيح أننا عندما نولد جسداً نأتي إلى الدنيا بتفاصيل جاهزة تصبغ حياتنا بدءاً من الشكل و انتهاءً بالمضمون و التوجه .. لكن ما من شيء يردعنا عندما نكبر من أن نغربل تفاصيل حياتنا في غربال ذهبي يذهب بما لا يتماشى مع ميولنا و مبادئنا و يبقي على قناعاتنا في الحياة .. فحتى اسمك الشخصي أنت قادر على تغييره ، و شكلك أيضاً بعمليات التجميل و حتى جنسك في بعض الأمراض و

التشوهات الخلقية .. فأنت أتيت إلى الحياة بدون إرادتك ، لكنك تستطيع أن تحياها وفق تصورك و رغباتك ، و لا قوة في العالم تمنعك من القيام بذلك إن أردت بالطبع .. و في الولادة الأولى الجسدية لك ، أمك هي من عانت من آلام المخاض المبرّحة ، لكن صدقني عزيزي القارئ بأن ولادتك الحقيقية عندما تكبر هي مخاض أعسر بكثير و ستعاني بنفسك من آلامه ، فليس من السهل على الإطلاق أن تنسلخ عن هويتك القديمة و بيئتك لتولد كإنسان جديد ، فذلك يتطلب إيماناً عميقاً لا يتزعزع بقناعاتك و إرادة فولاذية للمضي في هذه التجربة العسيرة و المخاض المنهك ، لكن صدقني بأنها تجربة عظيمة لا توصف تستحق كل هذا الألم و أكثر ، فعندها فقط ستدرك كم هي جميلة الحياة و ستعرف بالضبط غاية الله من خلقك فيها .. و تذكر أنك عندما تولد جسداً في الحياة تغطي جسدك طبقة سميكة من الدماء ، المخاط ، السائل الامنيوسي و غيرها مما يجعل منظرك قبيحاً ، لكن ما أن يُغسل جسدك من كل ذلك و تصبح نظيفاً حتى تتحّول إلى مخلوق لطيف بأبهى صورة .. هذه الطبقات المتّسخة تكافئ ما فرضه عليك الاشخاص و البيئة في طفولتك فجعلوا حياتك قبيحة لا تناسبك ، لكن ما إن تنظف نفسك و حياتك منها بإرادتك في ولادتك الحقيقية حتى تصبح بصمة فارقة في الحياة كما أراد لك الله أن تكون ..

لذا اصنع قدرك بيديك لا بأيدي الآخرين كي تولد بحق هذه المّرة

و بذلك يكون الإرشاد السادس في نظام **GPS** السماء هو :

(صحيح أن كل شيء في حياتك فرض عليك عند ولادتك بما فيها حياتك نفسها ، لكن ما من قوة في العالم تمنعك إن شئت من تغيير حياتك هذه إلى النحو الذي ترغب به و يناسب مبادئك و توجهاتك عندما تنضج و تستقل)

❁ فلسفة الأنا و الهو :

العزلة و الانفراد بالذات أمر جميل بل ضروري أحياناً كي نفهم ذواتنا أكثر ، كذلك حال الشهرة و السلطة لهما نكهة خاصة بلا شك و ذلك بالإحساس بالتميز عن الآخرين .. لكن شريطة ألا يستمر هذا الحال إلى الأبد من جهة ، فعندها سيفقد كل ذلك مزاياه و يتحول إلى كابوس حقيقي يسلبنا كل جميل ، و من ناحية أخرى فإنّ وجودنا ضمن فريق من الأصدقاء لن يحرمنا من هذه المتع .. فالأصدقاء يمنحوننا مساحة كافية لأنفسنا متى أحببنا ، كما أنهم يطرون على إنجازاتنا و يتبعون توجيهاتنا السليمة و المفيدة برحابة صدر و وفاء ناهيك عن كونهم السند الذي نتكئ عليه عندما تعصف بنا الهموم و المصاعب كما ينبغي أن نكون عكازهم في النكبات .. و الأنانية أو النرجسية التي تمجد الذات و تلغي الآخر ليست مرادفاً للإبداع و النجاح و السعادة .. بل إنّ السعادة التي يمنحها لنا الأحباء و ملاحظاتهم القيمة إيجاباً أم سلباً على أعمالنا هي من تخرج منا أفضل نسخة ممكنة لذواتنا فنبدع بالفعل ..

و بذلك يكون الإرشاد السابع في نظام **GPS** السماء هو :

(الأنا ضرورية بلا شك لأن من لا يحب نفسه لا يعرف كيف يحب الآخرين ، لكن علينا ألا نسمح للأنا بالتوسع كثيراً بحيث تطمس الهو على الخارطة ، فالآخرين هم مصدر السعادة الحقيقية في هذه الحياة ، و الجنة بلا ناس لا معنى لها من الأساس)

❁ فلسفة سواسية كأسنان المشط:

الناس سواسية كأسنان المشط و ما يعلي مقامهم في الحياة هو أخالقهم و صلاح أفكارهم و أقوالهم و أفعالهم فقط لا غير .. و علينا التعامل مع الآخرين وفق هذه المعادلة .. أما تمييز البشر بين بعضهم على أساس لون بشرتهم أو جاههم أو سلطتهم أو ثرائهم أو نسبهم أو غيره فهو مرفوض سماوياً ، فجميع البشر أتوا إلى الحياة عراة و سيغادرونها عراة و ما يكسوهم بين الولادة و الموت هو أخلاقهم لا غير ..

و بذلك يكون الإرشاد الثامن في نظام **GPS** السماء هو :

(فكرة أن الناس مقامات أو أن أصابع يدك ليست

كبعضها مرفوضة عند الله ، فجميع الناس سواسية

كأسنان المشط و لا تفضيل لأحد على آخر إلا بأخلاقه)

❁ فلسفة الطاقة المهدورة :

جهد الإنسان طاقة لا تفنى بشكل مؤكد و سيصل إلى المتلقي المناسب عاجلاً أم آجلاً ليحقق النجاح المأمول، و جلّ ما علينا فعله أن نقوم بواجبنا ببذل الجهد و زرع بذرتنا في التراب المناسب و السماء ستتكفل بسقايتها و إنمائها لتعطي شجرة من النجاحات و التأثير سواء كنا فوق هذا التراب أم مدفونين في أحشائه ، و قيمة عملك لا تقدر بنجاحك الضخم فيه أو غايتك منه بل بغايات الله ذات الأبعاد المختلفة منه و الذي ألهمك في المقام الأول على التفكير به أو قوله أو فعله.. و كل فعل نقوم به في حياتنا سلبياً كان أم إيجابياً و إن كان مثقال ذرة سيتضاعف كأثر الفراشة أو تساقط أحجار الدومينو و يغير في حياة الآخرين في هذا العالم ، و ربّ كلمةٍ واحدة غيرت مجرى التاريخ .. و كلنا مزارعون في حقل الحياة ، فلنعمل على زرع بذور العمل الصالح المعجون

بالخير و الحب في هذا الحقل وقدر الله بحكمته سيرويها و ينميها ، فإن لم نستفد منها بأنفسنا سيستفيد من ثمار أشجارها الوارفة آخرون يوماً ما ،كما نستفيد نحن من ثمار غيرنا الآن ، فلا يمكن تلخيص فلسفة العمل الصالح بدقة أكثر من وصفه بكلمة واحدة فقط : (**بذرة**) فهو لن يعرف الضياع أو الهدر أبداً بل سينمو لاحقاً ليؤتي ثماره بلا ريب ..

و بذلك يكون الإرشاد التاسع في نظام **GPS** السماء هو :

(أي جهد تبذله في حياتك هو طاقة لا تفنى و لا تعرف معنى الهدر بكل تأكيد، بل ستتوسع كأثر الفراشة أو تأثير الدومينو عابرةً للمكان و الزمان و الأشخاص و تؤثر بالآخرين ذات يوم)

❁ فلسفة دائرة الأرزاق :

مفهوم دائرة الأرزاق بسيط للغاية لكنه هامّ على نحوٍ لا يوصف بنفس الوقت لأنه يكشف النقاب عن أحد أكبر أسرار الحياة التي تشرح العدل الإلهي و المساواة بين البشر و ينصّ على الحقيقة التالية :

((حياة كل إنسان عبارة عن دائرة مقسمة إلى أقسام من الأرزاق بحيث تبقى مساحة الدائرة ثابتة و متساوية بين جميع البشر ، فمثلاً إن زادت حصة المال عند إنسان في الدائرة فستقل بالمقابل حصة أخرى بلا أدنى شك كالصحة مثلاً و هكذا ..))

و من المستحيل أن يمتلك الإنسان كل شيء في هذه الحياة حتى لو سعى إلى ذلك ، فهذه الدائرة السحرية مبرمجة سلفاً كي تقلّ نسب فيها في حال ازدادت نسب أخرى ..

و أقاليم الحياة متنوعة و الله إن قتّر الرزق عليك في بعضها سيوسعه في غيرها بلا شك ، و من هذه الأقاليم الشائعة نذكر :

- **المال** ، و هو الإقليم الذي يشغل تفكير أغلب الناس، و يربطونه بجهالة بكل شيء ، فإن امتلكت المال فأنت لا تحتاج شيئاً آخر بعده كما يعتقدون ..

- **الصحة** ، و هو الإقليم الأهم و الأكثر قيمة ، و كثير من الناس يغفلون أهميته بجهالة حتى يخسرونه ..

- **العائلة** ، أن تمتلك أم و أب ، أخوة و أخوات ، زوجة ، أبناء .. و كثير من البشر يفتقدون هذه العناصر لأسباب مختلفة ..

- **النجاح** ، بكل أشكاله ، في الدراسة أو العمل .. إلخ

- **الأمان** ، أن تملك سقفاً تعيش تحته ، ألا تملك أعداء يتربصون بك ، ألا تعيش في حرب أو تشرد ، أن تعيش مرتاح البال .. إلخ ..

- **الأصدقاء** ، كنز حقيقي في الحياة و ما أقلهم عندما تشيح الحياة بوجهها عنك !!

- **الإيمان** ، فإن طرق الله بابك فهذا حدث عظيم لا تستهن به ، فغيرك لا يزال يعيش في دوامة الشك و الحيرة ..

إضافةً إلى آلاف الأقاليم الأخرى و هذه مجرد أقاليم شائعة بين الناس ، لكن العدل يكمن في التفاصيل هنا ، و تغير النسب زيادةً أو نقصاناً من شخص لآخر يطال أقاليم كثيرة نجهلها و لا نعيرها اهتماماً أو قيمة لتبقى الدائرة بالمحصلة ثابتة المساحة بين جميع الناس في أي فترة من حياتهم ، و هذا هو الإبداع و الإعجاز في العدل الإلهي .. لذا اقنع عزيزي القارئ بقسمتك من الرزق و كن على يقين بأنك تملك أشياءً كثيرة حُرم منها من تظنه يملك كل شيء و ولد و في فمه ملعقة من ذهب ..

و بذلك يكون الإرشاد العاشر في نظام **GPS** السماء هو :

(عبارة ولد و في فمه ملعقة من ذهب لا وجود لها في

قاموس الحياة الدنيا ، فكل إنسان يأتي إليها تحكمه دائرة أرزاق ثابتة إن توسعت فيها بعض النسب المئوية في أقاليم من الحياة ، تضاءلت نسب أخرى مباشرةً على حسابها ، ولو قدّر لنا أن نتعرف فعلياً على حياة أشخاص نظنها مثالية لدهشنا من كمّ الحرمان الذي يعانون منه .. لذا احمد لله على كل شيء و على كل حال.. و من زاوية أخرى فالدنيا قلابة و لا تستقر على حال و لا أحد يعرف ما الذي ينتظره خلف أبواب المستقبل .. أهو فرج عظيم أم شدة غير متوقعة !!)

❁ **فلسفة خريطة الكنز** :

لا يمكننا فهم الحياة الدنيا بدقة و عدل إن لم نربطها بالحياة الآخرة كتتمة طبيعية و منطقية لها .. فإن اعتبرنا **حياة الإنسان في داري الفناء و البقاء جزءاً واحداً لا يتجزأ** ، فعندها سندرك جيداً أنه في نقطة معينة من هذه الحياة سيعثر كل إنسان بلا استثناء على كنوز عظيمة لا تقدر بثمن ، لا توصف بكلام و لا تحاط بعقل ، و ما هذه النقطة سوى لحظة موتنا التي تنام فيه أجسادنا الأرضية و تستيقظ أجسادنا السماوية لتمتلك كنوز الجنان إلى ما لا نهاية ، و هذه حقيقة ثابتة لا تقبل الشك أبداً و علينا التعامل معها كواقع لا كاحتمال بالإيمان و اليقين بوجود الله و حقيقة جنانه و عندها سيتغير كل شيء و تتغير نظرتنا إلى الحياة جذرياً .. أما خريطة الكنوز هذه فبيدنا جميعاً ألا و هي :

(الالتزام بالثالوث المقدس : الأخلاق و الإيمان و المعرفة)

و كلّ ما علينا هو تتبع هذه الخريطة في رحلة حياتنا على هذه الأرض **لبضعة سنوات لا أكثر** كمغامرة فريدة و ممتعة و شيقة نمخر فيها عباب محيط الحياة الدنيا بسفينتنا الخاصة حتى نبلغ **جزيرة الكنز** (الحياة الآخرة) حيث ينتظرنا كنزنا العظيم المدفون فيها كماوعدتنا الخريطة بالضبط ..

و بذلك يكون الإرشاد **11** في نظام **GPS** السماء هو :

(هنالك كنوز عظيمة تنتظرنا في الجنان لحظة وفاتنا التي ربما تكون أقرب مما نعتقد ، فليس جميع البشر يعمرون بل بعضهم يموت طفلاً أو يافعاً أو كهلاً، و ما علينا سوى انتظار هذه اللحظة بصبر و ثقة و إيمان و تسليم)

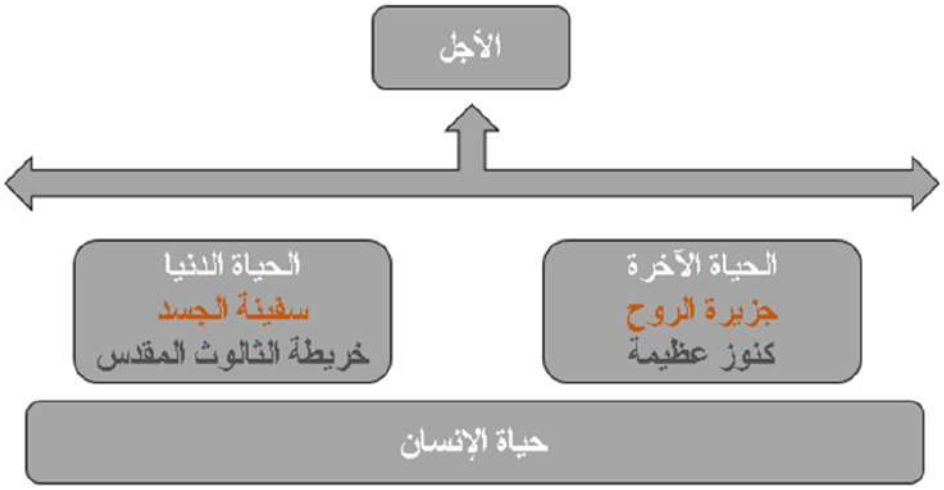

هذه هي الإرشادات الإحدى عشر في نظام **GPS** السماء ، فإن التزمنا بها بوعي و قناعة ، أعتقد أن حياتنا ستتحول إلى مغامرة مثيرة بأقل الصعاب الممكنة فنختصر درباً حمراء طويلة من الألم إلى أقصر مسافة تجعل منا عيالاً للسماء فتمنحنا كل شيء بدون

مقابل و إلى الأبد في الكون الأكبر أو دار البقاء .. لذا أعطِ هذه الإرشادات بعضاً من وقتك واهتمامك عزيزي القارئ :

- **فلسفة الإشباع و بداية الضياع ..**
- **فلسفة لقاح الظلام ..**
- **فلسفة الخُلُق سرّ الخَلْق ..**
- **فلسفة القدر ..**
- **فلسفة حقل الألغام ..**
- **فلسفة الولادة الحقيقية ..**
- **فلسفة الأنا و الهو ..**
- **فلسفة سواسية كأسنان المشط ..**
- **فلسفة الطاقة المهدورة ..**
- **فلسفة دائرة الأرزاق ..**
- **فلسفة خريطة الكنز ..**

الأديان بين يديك ...

محتوى الكتاب :

- الدين حاجة الروح قبل فرائض السماء
- الأديان السماوية
- الأديان الأرضية
- الأديان الحديثة العجيبة
- الميثولوجيا
- الصوفية
- العالم الآخر
- الزيتونة شجرة السماء
- **GPS** الحياة

CHRISTIANITY
HINDUISM
TAOISM
BAHAI
BUDDHISM
JAINISM
SHINTO
CONFUCIANISM
NATIVE SPIRITUALITY
JUDAISM
SIKHISM
ISLAM